رسالة

يعقوب

(يعقوب هو) واعظ يتكلّم مثل نبي... بِلُغة لا يوجد ما يضارعها في الأدب المسيحي في بداية عهده، ما عدا أحاديث يسوع

ثيودور زان ***Theodore Zahn***

المكانة الفريدة ضمن الأسفار القانونية

كان مارتن لوثر *Martin Luther* على خطإ كبير في تقليله من قيمة رسالة يعقوب، إذ اعتبر أنها مجرّد "رسالة من قش". إن إساءة فهم لوثر لتعليم يعقوب عن الأعمال الصالحة، في خضم معركة هذا المصلح الشرسة مع الداعين إلى الخلاص بالإيمان والأعمال معًا، هي ما حمله على الخطإ. لم يكن هو الشخص الوحيد الذي أخطأ في تقديره لهذه الرسالة، التي هي أولى الرسائل المسيحية؛ فبعضهم أطلقوا على هذا السفر التسمية "مجموعة لآلئ في سِلْك"، للإشارة إلى افتقار الرسالة إلى الترابط إلى ما بينها، حتى إنها لا تشكّل في رأيهم أكثر من مجرد فقرات مجموعة، أسهب الكاتب في توسيع مضمونها.

إن هذا السفر الصغير يشكّل، في الواقع، رائعة من روائع الكتابات التعليمية. ويُشتمّ منه رائحة يهودية واضحة، حتى إنه يشير إلى الجماعة المسيحية (٢: ٢) بالتعبير "مجمع"، وهذه الكلمة اليونانية للدلالة على أية جماعة، لكن سرعان ما أصبح استخدامها محصورًا بالجماعات اليهودية، كما هي الحال أحيانًا في أيامنا.

لقد استعان يعقوب بأمثلة من الطبيعة، وعلى غرار سيده، ثلاثين مرة ضمن خمسة إصحاحات قصيرة، قاصدًا بذلك توضيح الحق الروحي.

إنّها رسالة عمليّة، تعالج بعض المواضيع الشخصية: كضبط اللسان مثلاً، وخطر تملّق الأغنياء، وضرورة ظهور ثمر الإيمان في حياتنا العملية.

٢- الكاتب

كان الاسم "يعقوب" منتشرًا جدًا في الأوساط اليهودية، حتى إن العهد الجديد يذكر أربعة رجال يُسمّون به. وهكذا تم اقتراح كل واحد من هؤلاء كالكاتب لهذه الرسالة، ولكن بدرجات متفاوتة، إذ نسبة الاحتمال ترتفع في هذا وتتدنّى في ذاك، بحسب آراء الباحثين.

١- يعقوب الرسول، ابن زبدي وأخو يوحنا (مت٤: ٢١). لو كان الرسول يعقوب هو الكاتب، لما دام التحفظ من جهة قبول هذه الرسالة كل تلك المدة الطويلة (راجع ما يلي). كما أن يعقوب استُشهد في العام ٤٤م، وربما حصل هذا قبل كتابة هذا السفر.

٢- يعقوب بن حلفي (مت١٠: ٣) إنه تقريبًا غير معروف، ما خلا كون اسمه أُدرج ضمن قائمة أسماء الرسل. لكن، بما أنه كان باستطاعة الكاتب أن يشير إلى نفسه بصفته (يعقوب)، من دون أيّة ألقاب مميّزة، فيظهر أنه كان معروفًا جدًا في ذلك الوقت.

٣- يعقوب أخو يهوذا (وبحسب بعض المخطوطات أبو يهوذا ليس الإسخريوطي، لو٦: ١٦). كان هذا الرجل مغمورًا جدًا، حتى إنه يمكننا عدم التردّد من جهة حذف اسمه في هذا المجال.

٤- يعقوب أخو الرب غير الشقيق (مت١٣: ٥٥؛ غل١: ١٩). من المرجّح جدًا أن يكون هذا هو كاتب رسالتنا. فهو معروف جيدًا، لكنه وديع، حتى إنه لا يَذكُر أي شيء يمت بصلة إلى قرابته الجسدية بالمسيح (راجع أيضًا المقدمة لرسالة يهوذا). إنه الرجل الذي أدار مجمع أورشليم، ومكث في تلك المدينة حتى موته. كان معروفًا أنه يهودي في مسيحيته، ومدقّق أشد تدقيق في سلوكه. وباختصار، يظهر ممّا يذكر عنه التاريخ (يوسيفوس)، والتقليد الكنسي، أنه ذاك المسيحي الذي لابد أن يكون هو من كتب رسالة كهذه.

الدليل الخارجي

إن الشهادات الخارجية المختصة برسالة يعقوب هي ضعيفة جدًا، إذ اكتفى آباء الكنيسة الأولون بالإشارة إليها من دون الاقتباس منها. كما أنّها لم تُدرج أيضًا ضمن القانون الموراتوريانى. ويرجّح أن هذا يعود إلى كونها من

أورشليم، وقد وُجِّهت إلى اليهود الشرقيين؛ كما أنه بدا للعديد من الناس أنها تناقض بولس بشأن التبرير بالإيمان. بيد أن رسالة يعقوب اقتبسها كل من كيرلس الأورشليمي، وجيروم. كما أن يوسيبيوس يخبرنا أن رسالة يعقوب كانت في عداد الأسفار التي تكلَّم ضدها بعض المسيحيين (الأنتيلجومينا *Antilegomena*)، لكنه هو نفسه اقتبسها بصفتها جزءًا من الكتاب المقدس.

الدليل الداخلي

وبالمقابل، فإن البرهان الداخلي لرسالة يعقوب قوي جدًّا. إنها تنسجم وتتوافق مع ما نعرفه عن أسلوب يعقوب من سفر الأعمال ومن الرسالة إلى غلاطية، وتتوافق مع تاريخ الشتات كما هو معلوم من مصادر أخرى. لا داعي إذًا لتزوير هذه الرسالة. لأنها لا تحتوي على أية زوائد عقائدية رئيسيّة (كما هي الحال دائمًا مع كل تزوير هرطوقي عائد إلى القرن الثاني). يروي لنا يوسيفوس أن يعقوب اشتهر جدًّا في أوساط اليهود بولائه للناموس، لكنه استُشهد بسبب شهاداته للمسيّا المرفوض آنذاك. يقول هذا المؤرخ إنه تم رجم يعقوب بأمر من رئيس الكهنة حنانيا. ويخبرنا يوسيبيوس أن يعقوب طُرح من على جناح الهيكل، ثم ضُرب بالهراوات، أو ما شابه، حتى الموت. أما هجيزيبوس *Hegesippos*، فيجمع بين هذين التقليدين.

إن الحجة القائلة بأن الأسلوب اليوناني لرسالة يعقوب هو "فائق في الجودة" بالنسبة إلى يهودي من فلسطين، إنما تدل على جهل للمهارات الفكرية المدهشة المأثورة عن ذلك الشعب.

٣ـ التاريخ

يقول يوسيفوس إن يعقوب قُتل في العام ٦٢م، إذًا ينبغي أن تكون الرسالة سابقة لهذا التاريخ. وبما أن الرسالة لا تذكر أي شيء عن القرارات المتَّخذة في مجمع أورشليم بشأن الناموس (عام٤٨ أو ٤٩م)، هذا المجمع الذي ترأَّسه يعقوب (أع١٥)، فإن تاريخًا ما بين عامي ٤٥ و٤٨م، هو مقبول على نطاق واسع.

٤ـ الخلفية والمواضيع

مع أنَّ هذه الرسالة قد تكون أول الأسفار المكتوبة في العهد الجديد، حتى إننا نشتم منها رائحة يهودية قوية، فيجب عدم قَصرِ تعاليمها على عصر مضى. فهي ما تزال تلائم حياتنا اليوم، ونحن في أمسِّ حاجة إليها.

يتمِّم يعقوب قصده من خلال الاستعانة، على نحو مكثَّف، بتعاليم الرب يسوع في عظته على الجبل. وهذا يظهر، بكل وضوح، من خلال المقارنات التالية:

الموضوع	يعقوب	النص الموازي في متى
الضيق	١: ٢، ١٢؛ ٥: ١٠	٥: ١٠-١٢
الصلاة	١: ٥؛ ٤: ٣؛ ٥: ١٣-١٨	٦: ٦-١٣؛ ٧: ٧-١٢
العين البسيطة	١: ٨؛ ٤: ٨	٦: ٢٢، ٢٣
الغنى	١: ١٠، ١١؛ ٢: ٦، ٧	٦: ١٩- ٢٤، ٢١-٣٤
الغضب	١: ١٩، ٢٠؛ ٤: ١	٥: ٢٢
الناموس	١: ٢٥؛ ٢: ١، ١٢، ١٣	٥: ١٧-٤٤
الناموس الملوكي	٢: ٨	٧: ١٢
الرحمة	٢: ١٣	٥: ٧
الإيمان والأعمال	٢: ١٤-٢٦	٧: ١٥-٢٧
الأصل والثمر	٣: ١١، ١٢	٧: ١٦-٢٠
الحكمة الحقيقية	٣: ١٣	٧: ٢٤
صانع السلام	٣: ١٧، ١٨	٥: ٩
إدانة الآخرين	٤: ١١، ١٢	٧: ١-٥
الكنوز التي علاها الصدأ	٥: ٢	٦: ١٩
الحلفان	٥: ١٢	٥: ٣٣-٣٧

في هذه الرسالة يتكرّر الكلام عن الناموس. فهي تسميه «الناموس الكامل» (١: ٢٥)، «والناموس الملوكي» (٢: ٨)، «وناموس الحرية» (٢: ١٢). لا يعلّم يعقوب قرّاءه أن يكونوا تحت الناموس لأجل الخلاص، أو أن الناموس هو قانون الحياة؛ لكنه بالحري يذكر مقاطع من الناموس كإرشادات في البر بالنسبة إلى الذين هم تحت النعمة.

تحتوي رسالة يعقوب على مشابهات عديدة لسفر الأمثال. فأسلوبها حازم، وحيوي، وتصويري، ومن الصعب تقسيمه، وذلك على غرار سفر الأمثال. كما أن الكلمة «الحكمة» تتكرر فيها باستمرار.

وإضافة إلى ذلك فإن كلمة «الإخوة» هي الكلمة الرئيسية الأخرى التي ورد ذكرها ١٥ مرة. الأمر الذي يذكّرنا بأن يعقوب كان يكتب إلى مؤمنين، حتى ولو بدا عليه أحياناً أنه يخاطب غير المؤمنين أيضًا.

إن رسالة يعقوب هي، من بعض الأوجه، الأكثر "تطلّبًا" في العهد الجديد. بمعنى أن يعقوب يقدم توجيهات أكثر من أي من الكتاب الآخرين. ثمة ٥٤ توصية (بصيغة الأمر) في مجال لا يتجاوز ١٠٨ أعداد.

التقسيم

١ـ التحية	(١: ١)
٢ـ تجارب وامتحانات	(١: ٢ـ١٧)
٣ـ كلمة الله	(١: ١٨ـ٢٧)
٤ـ إدانة المحاباة	(٢: ١ـ١٣)
٥ـ الإيمان والأعمال	(٢: ١٤ـ٢٦)
٦ـ اللسان: استخدامه وإساءة استخدامه	(٣: ١ـ١٢)
٧ـ الحكمة: الحقيقية والزائفة	(٣: ١٣ـ١٨)
٨ـ الشهوة: مسببها وعلاجها	(أص٤)
٩ـ الأغنياء وشقاوتهم القادمة	(٥: ١ـ٦)
١٠ـ الحثّ على التحلي بالصبر	(٥: ٧ـ١٢)
١١ـ الصلاة وشفاء المرضى	(٥: ١٣ـ٢٠)

التفسير

١ـ التحية (١: ١)

الكاتب يُعرّف نفسه بصفته **يعقوب عبد الله والرب يسوع المسيح**. وإذا كان الكاتب هو أخا الرب غير الشقيق، كما نظن، فإنه يكون بذلك قد طرأ على حياته تغيير مدهش. فهو لم يكن، في وقت من الأوقات، يؤمن بالرب يسوع (يو٧: ٥)؛ كما أنه ربما شاطر أقرباءه الرأي في أن يسوع كان مختلاً (مر٣: ٢١). ومع هذا، فإن ربنا زرع بصبر بذار الكلمة، وعلّم المبادئ العظيمة المختصة بملكوت الله، غير آبه لتعبيرات الناس. ثم راحت الكلمة تمد جذورها في حياة يعقوب، فنتج من ذلك تغيير جذري. وهكذا تحوّل المشكِّك إلى خادم وإلى عبد، ولم يكن يخجل بالتصريح بذلك.

إن يعقوب بقوله إنه **عبد الله والرب يسوع المسيح**، كان على حق في جعله **الله والرب يسوع المسيح** على المستوى نفسه، واعتبارهما متساويين. إنَّه يُكرِم الابن تمامًا كما يُكرم الآب (يو٥: ٢٣). كان يعقوب يعرف أنه «لا يقدر أحد أن يخدم سيِّدين» (مت٦: ٢٤)، لكنه، مع هذا، تحدَّث عن نفسه كعبد لله وللرب يسوع. ولا تناقض في هذا، إذ إن الله الآب والله الابن هما متساويان.

إنّ الرسالة موجهة إلى **الاثني عشر سبطًا الذين في الشتات**. كان هؤلاء القوم يهودًا بالولادة، وينتمون من ثم إلى **أسباط إسرائيل الاثنى عشر**. لكن بسبب خطية إسرائيل، تم طرد الشعب من أرضهم، حتى باتوا الآن مشتّتين في البلدان المجاورة للبحر الأبيض المتوسط. لقد حصل أوّل تشتت في العام ٧٢١ق.م عند قيام الأشوريين بسبي الأسباط العشرة. ولكن بعضًا من هؤلاء رجعوا إلى الأرض في أيام عزرا ونحميا، وظلوا مجرد بقية. وفي يوم الخمسين، كان يهود أتقياء من كل أمة من العالم المعروف وقتئذ، يزورون أورشليم، (أع٢: ٥). كان يصح فيهم القول، إنهم يهود من الشتات. ثم عاد، فحصل في ما بعد تشتت لليهود المسيحيين. نقرأ في أعمال ٨: ١ أن المسيحيين الأولين (ومعظمهم من أصل يهودي)، قد تشتتوا في كل أنحاء اليهودية والسامرة من جرّاء اضطهادات شاول. وهذا الشتات هو المُشار إليه أيضًا، حيث نقرأ عن طرد المؤمنين إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية. إذًا، إن الذين وجّه إليهم يعقوب رسالته، ربما كانوا من اليهود الذين تشتتوا خلال أي من أزمنة الضيق هذه.

وبما أن المؤمنين الحقيقيين هم جميعهم غرباء ونزلاء في هذا العالم (في٣: ٢٠؛ ١بط٢: ١١) فباستطاعتنا الاعتماد على مضمون هذه الرسالة، حتى لو لم تُكتب إلينا مباشرة.

والمسألة الأكثر صعوبة، هي إن كان يعقوب يخاطب مجموعة من اليهود غير المسيحيين، أو قومًا من اليهود الذين اهتدوا إلى المسيح، أو خليطًا من اليهود، مؤمنين وغير مؤمنين. لكن يبدو أن المؤلف كان يكتب، بشكل رئيسي، إلى مؤمنين حقيقيين مولودين ثانية (١: ١٨) كما يظهر عليه أحيانًا أنه يخاطب قومًا من المعترفين زورًا بالمسيحية، أو حتى أيضًا من غير المؤمنين. وهذا يشكّل أحد البراهين على التاريخ الباكر جدًا للرسالة، لأن الصدع بين المسيحيين العبرانيين واليهود غير المؤمنين لم يكن بعد أمرًا واقعًا.

٢. تجارب وامتحانات (١: ٢-١٧)

١: ٢ في هذا الجزء، يتناول يعقوب موضوع التجربة. وهو يستخدم هذه الكلمة بمعنيين مختلفين: ففي الأعداد ٢-١٢ نستطيع أن ندعوها تجارب مقدّسة، أو مشاكل مصدرها الله لاختبار مدى حقيقة إيماننا، والتي ينتج منها التشبّه بالمسيح. وبالمقابل، تتحدّث الأعداد ١٣-١٧ عن التجارب غير المقدسة، التي تأتي من داخل الإنسان، ويكون مصدرها الخطية. إن الحياة المسيحية مليئة بالمشاكل التي تصيبنا مع أننا لا نرغب فيها، كما أنّها تأتي علينا بشكل غير متوقع، تارة تحدث لنا مشكلة واحدة، وطورًا نعاني مجموعة من المشاكل. إذًا لا مفرّ منها. فيعقوب لا يقول: "**إن كنتم تقعون في تجارب متنوعة**"، بل بالحري «**حينما**». لا نستطيع الهرب أبدًا منها، وهكذا يبقى السؤال: كيف سنتدبّر أمرها؟

ثمة مواقف عديدة يمكننا اتخاذها تجاه **تجارب** الحياة هذه وامتحاناتها. قد نثور عليها (عب١٢: ٥)، إذ نتبنى روح تحدٍّ، مفتخرين بأننا سنبقى لحارب إلى حين إحراز النصرة بقوتنا الذاتية. ومن جهة أخرى، قد نفشل، أو نستسلم تحت وطأة الضغط (عب١٢: ٥) وما هذا سوى القَدَريّة (أو الإيمان بالقضاء والقدر) والذي يقود إلى التشكيك حتى في اهتمام الله بنا. كذلك، باستطاعتنا أن نتشكّى أو نتذمّر من ضيقاتنا. وهذا ما يحذرنا منه بولس في ١كورنثوس١٠: ١٠. وثمة أيضًا احتمال تردّينا في هوة الرثاء الذاتي، فلا نعود نفكّر في أحد آخر سوى

نفوسنا، بل نحاول استدرار عطف الآخرين. لكن الأفضل من كل هذا، هو أن نتدرّب، من خلال صعوبات الحياة ومكنوناتها (عب١٢: ١١)، فنصرّح بقول ما معناه: "لقد سمح الله بحدوث هذه التجربة لي، وقصده منها لأجلي صالح. فأنا لا أعلم ما هو القصد، لكني سأحاول اكتشاف ذلك. أنا أرغب في أن تتم مقاصده في حياتي". وهذا ما يحث عليه يعقوب: «**احسبوه كل فرح يا أخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة**». لا تتمرد، ولا تخُر، بل بالحري افرح! ليست هذه الصعوبات بمنزلة أعداء تنوي تحطيمك، لكنها أصدقاء جاءت تساعدك على تطوير خُلُق مسيحي رفيع.

يحاول الله إنتاج شبَه المسيح في كل واحد من أولاده. وهذه العملية يتخللها، لا محالة، معاناة آلام، وخيبة أمل، وحيرة. إن ثمر الروح لا يمكن أن ينتج من حياة لا تغيب شمسها؛ فالحاجة هي أيضًا إلى مطر وإلى غيوم داكنة. والتجارب لا تبدو البتة ظريفة ومُسرّة، بل تظهر أنها صعبة جدًا ومُمقوتة لكنها، في ما بعد، تعطي أولئك الذين يتدربون بها ثمر برٍّ للسلام (عب١٢: ١١). كم مرة نسمع مسيحيًا يقول، على أثر اجتيازه بمحنة صعبة: "لم تكن سهلة قطّ، لكني غير مستعد للتنازل عن هذا الاختبار مقابل أي شيء آخر".

١: ٣ يعقوب يتحدث عن **امتحان إيمانكم**، إنه يصوِّر الإيمان كمعدن ثمين يضعه الصائغ (الله) على المحك من أجل اختبار مدى صحته وصدقه. يتم تعريض المعدن لنيران الاضطهاد، والمرض، والألم، أو الأسى. فمن دون الصعوبات، لن نتمكن من اكتساب قوة الاحتمال. حتى رجال هذا العالم يتحققون من أن الصعوبات تشدد الخُلق. قال مرة تشارلز كترنج *Charles Kettering* وهو صناعي مشهور: "إن الصعوبات هي ثمن التقدّم؛ فيا صاح لا تأتني إلا بالمشاكل، لأن الأخبار السارة إنما تضعفني".

١: ٤ يقول يعقوب: «**وأما الصبر فليكن له عمل تام**». أحيانًا، عندما تواجهنا الصعوبات نيأس، ونستعين بأساليب مشبوهة لوضع حدّ للتجربة. مثلاً، نهرع إلى الطبيب لكي نتجرع مقادير وافرة من العقاقير بغية تقصير فترة التجربة، وذلك عوضًا عن استشارة الرب بغية الوقوف على مقاصده في الأمر. إننا، بفعلنا هذا، قد نكون، في الواقع، نعمل على إحباط برنامج الله في حياتنا. وعلى أثر ذلك، قد نحتاج في المستقبل إلى أن نخضع لتجربة مداها أطول، قبل أن يتمّ قصده الخاص في حياتنا. علينا ألا نعيق عملية تنمية قدرتنا على الاحتمال، لأننا بتعاوننا مع الله نصبح مسيحيين ناضجين ومصقولين جيدًا، **غير ناقصين** في أي من الفضائل الروحية.

يجب ألا يعترينا البتة الاكتئاب أو الفشل عند اجتيازنا بتجارب. فلا مشكلة يعجز عن حلّها أبونا السماوي. إن بعض مصائب الحياة تلازمنا، ولا يمكن أبدًا التخلص منها. لذا نحتاج في هذه الحال إلى أن نتعلّم طريقة تقبّلها، ومن ثم اختبار مدى كفاية النعمة الإلهية. كان بولس قد تضرّع إلى الرب ثلاث مرات أن يخلّصه من ضعف جسدي، لكن الرب لم يتمم ذلك، بل أعطى بولس النعمة اللازمة للاحتمال (٢كو١٢: ٨-١٠).

عندما تعترض سبيلنا مشاكل تظهر وكأن الله غير مزمع أن يزيحها، ينبغي لنا، في هذه الحال، أن نخضع لإرادته تعالى. كاتبة الترانيم الضريرة والموهوبة، خطّت الكلمات التالية عندما كانت فتاة في الثامنة من عمرها:

آه كم أنا سعيدة، على الرغم من فقدان بصري؛
لقد عقدت النية أن أكون قانعة في هذا العالم بأمري.
فكم من بر كات أتمتع بها لا يتعم بها غيري!
أن أبكي وأتنهد لعماي؛ أنا لا أستطيع ولا أبغي.
فاني كروسبي Fanny Crosby

فيا لسلام يأتي من جراء الخضوع لإرادة الله.

إننا نتخلّص من بعض مشاكل الحياة بعد أن نكون قد أخذنا منها العِبَر. فما إن يرى الممحِّص الإلهي انعكاس صورته في المعدن الذائب، حتى يعمل على تخفيض الحرارة. فمعظمنا يعوزه الحكمة لرؤية ضغوط الحياة بالمنظار الإلهي. إننا نتبنّى نظرة قصيرة المدى، إذ نشغل نفوسنا بالانزعاج الراهن وهكذا ننسى أن قصد الله الذي يتممه فينا على مهل، هو أن يُكبِّرنا من جرّاء الضغط (المزمور ٤: ١ بحسب ترجمة داربي).

١: ٥ لسنا في حاجة إلى مواجهة مشاكل الحياة بالاعتماد على حكمتنا الذاتية. فإن كنا عند التجربة نفتقر إلى الفهم الروحي، ينبغي لنا أن نتوجّه إلى الله لكي نُعلمه بكل حيرتنا وجهلنا. إن جميع الذين يتدربون بهذا الشكل على البحث عن مقاصد الله من وراء تجاربهم، سوف يكافأون بسخاء. كما أن فكرة الخوف من توبيخ الله لهم لا تتسلل إليهم، لأنه ـ تبارك اسمه ـ يُسرّ عندما نكون قابلين للتعلّم وللصقل. نحن جميعنا نفتقر إلى الحكمة. لا يعرض الكتاب المقدس أية أجوبة محدّدة بشأن المعضلات الكثيرة التي لا عدّ لها ولا حصر، والتي تظهر في حياتنا. إنه لا يعرض حلولاً واضحة وبسيطة، لكن كلمة الله تجعل أمامنا مبادئ عامة. ونحن علينا أن نطبّق هذه المبادئ عندما تبرز في حياتنا المشاكل يومًا بعد يوم؛ ولهذا نحتاج الحكمة. والحكمة الروحية هي اتباع تعاليم الرب بشكل عملي في أوضاعنا اليومية.

١: ٦ـ٨ نحتاج إلى الاقتراب من الله **بإيمان دون ارتياب**. علينا أن نؤمن بأنه يحبّنا ويهتم بنا، وبأن لا شيء يعسر عليه. وإن كنا نرتاب في أمر صلاحه وقدرته، فلن يكون عندنا أي استقرار في زمان الضيق. ففي دقيقة ما، قد نستريح بهدوء على مواعيده، فيما قد نشعر في الدقيقة التالية بأن الله نسي أن يكون لطيفًا. عندئذ نكون أشبه بموج **البحر** الذي يرتفع عاليًا، ثم ينزل منحدرًا، وتخبطه الريح **وتدفعه**. إن الله لا يتمجّد بصنف الإيمان الذي يتبدّل وينتقل بين الإيجابية والسلبية. وهو لا يمنح هؤلاء القوم المتقلبين وغير الثابتين أي فهم روحي (ع٧،٨). وبحسب الأعداد ٥ـ٨، فإن مصدر الحكمة هو الله؛ ويتم الحصول عليها بالصلاة، وهي في متناول الجميع، وهي تُعطى بسخاء ومن دون تعيير؛ على أن الشرط الأساسي لنوالها هو أن نسأل **بإيمان دون ارتياب**.

١: ٩ قد يبدو، أول وهلة، أن الأعداد ٩ـ١١ تبدأ بالتطرق إلى موضوع جديد، أو أنها تشكل، على الأقل، جملة معترضة. بيد أن يعقوب يواصل بحثه موضوع التجارب المقدسة، وذلك بعرضه إيضاحات محدّدة. فباستطاعة الإنسان، سواء كان فقيرًا أم غنيًا، أن يستمد منافع روحية باقية من محن الحياة وأزماتها. مثلاً، عندما يعتري **الأخ المتضع** شعور بعدم الرضى وبالإحباط، فباستطاعته دائمًا، لكونه من ورثة الله، ووارثًا مع المسيح يسوع، أن يتعزى إذ أن كل الأشياء هي له، وهو للمسيح، والمسيح لله. ربما لا يكون للأخ المتضع أي سلطان على أموره الوضيعة. وينبغي ألا يظن أنه كسول أو لا مبالٍ؛ لكن الله رأى أنه من المناسب أن يبقيه في دائرة

من الدخل المحدود، إذ ربما لو كان غنيًا، لما قَبِلَ المسيح؛ أمّا الآن، وقد أصبح في المسيح، فقد تبارك بكل بركة روحية في السماويات. فماذا يعمل؟ هل يثور على وضعه المعيشي، أم يتولد لديه مرارة وحسد؟ كلا البتة، بل يحتاج إلى أن يقبل من يد الله الظروف التي لا سلطة له عليها. وأن يبتهج ببركاته الروحية.

إن عددًا غفيرًا من المسيحيين يجتازون بهذه الحياة، ثائرين على جنسهم، وعلى عمرهم، وعلى طولهم، وحتى على الحياة نفسها. فالفتيات من هاويات لعبة كرة السلة، قد يتمنين، مثلاً لو كُنّ فتيانًا؛ والشباب قد يتمنون لو كانوا أكبر سنًا، فيما الطاعنون في السن يرغبون في أن يعودوا شبابًا؛ والقصير يحسد الطويل، فيما الطويل يتمنى لو لم يكن ظاهرًا بهذا الشكل. كما أن بعض الناس يتجرأون أيضًا على التصريح بالقول: "يا ليتني مُتّ". كل هذا سخيف! إن الموقف المسيحي يقتضي أن نقبل من الله الأمور التي لا يمكننا تغييرها. إنها نصيبنا من عند الله، وعلينا أن نستفيد منها إلى أقصى حد لتمجيد الله، ولبركة الآخرين. إننا نحتاج إلى القول مع الرسول بولس: «بنعمة الله أنا ما أنا» (١كو١٥: ١٠). وهكذا إذ نتناسى عجزنا، ونبذل نفوسنا في خدمة الآخرين، سنتحقق من أن الأشخاص الروحيين يحبوننا من أجل ما نحن عليه، لا على أساس مظهرنا مثلاً.

١: ١٠، ١١ بعد هذا، ينتقل يعقوب إلى الكلام عن **الغني**. لكنه، ويا للعجب، لا يقول: «ليفتخر الغني بغناه». بل، عوضًا عن ذلك، يذكر أنه باستطاعة الغني أن يفتخر بكونه قد جُعل وضيعًا. إنه يتفق مع مضمون إرميا ٩: ٢٣، ٢٤ «*لا يفتخرن الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغني بغناه؛ بل بهذا ليفتخرن المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض. لأني بهذه أُسرّ — يقول الرب*».

إن الغني قد يجد، في الواقع، مسببًا حقيقيًا للابتهاج في حال تمّ تجريده من ممتلكاته المادية؛ وربما قد تدفعه النكسات الاقتصادية إلى المجيء إلى الرب. وفي حال كان مسيحيًا، فإنه يقبل سلب أمواله بفرح، عالمًا أن له في السماوات مالاً أفضل وباقيًا (عب١٠: ٣٤). إن الغنى الأرضي، سيكون مصيره الزوال، كما هي حال **زهر الحقل** (إش٤٠: ٦، ٧). وإن لم يكن لدى المرء شيء سوى الغنى المادي، فستنتهي مخططاته جميعها عند القبر. يتحدث يعقوب عن فناء **العشب** كوسيلة إيضاح لحياة الغني السريعة الزوال، ولقيمة الغنى المحدودة. **إنه يذبل في طرقه**. والفكرة هنا هي أن لا الشمس ولا الريح العاصفة تقدران على النيل من **القيم الروحية**. فكل تجربة تفطمنا عن محبة الأشياء الزائلة، وتركز عواطفنا على ما هو فوق، هي بركة يسترها قناع. من هنا، تكون النعمة التي ترفع الوضيع هي نفسها التي تضع الغني. وكلتا الحالتين من دواعي الابتهاج.

١: ١٢ يعقوب، في ختام بحثه حول التجارب المقدسة، يطوّب الرجل الذي يحتمل التجارب. فإذا نجح هذا الإنسان في الامتحان، أو إذا تزكّى، **فإنه ينال إكليل الحياة**. إن الإكليل لا يُشير هنا إلى تاج الملك، بل إلى إكليل النصر الذي يكافأ به المنتصر أمام كرسي المسيح. طبعًا، لا يوجد أية إشارة ضمنية هنا إلى أن الحياة الأبدية هي المكافأة على احتمال التجارب، لكن الذين احتملوا بصبر سيكافأون، إذ ينعمون بأعمق

تقدير، بالحياة الأبدية في السماء. وهناك، في السماء، ستمتلئ كأس كل واحد، لكن كؤوس الناس ستكون بأحجام مختلفة، أي بإمكانيات مختلفة للتمتع بالسماء. ويُحتمل أن يكون هـذا هو مغزى التعبير إكليل الحياة، إذ يشير إلى تمتع أوفى بأمجاد السماء.

والآن، لنجعـل هذا المقطع عن التجارب المقدسـة عمليًا في حياتنـا. كيف نتصرف عندمـا نواجه أصنافًا متنوعة مـن التجارب في حياتنا؟ هـل نتذمر بمرارة تجاه محن الحياة، أم نفرح ونشكر الرب من أجلها؟ هل نحيط الجميع علمًا بتجاربنا، أم نتحملها بهدوء؟ هل نعيش في المسـتقبل، في انتظار تحسين ظروفنا وأوضاعنا، أم نعيش في الحاضر، باحثـين عن يد الله في كل ما يحصل لنا؟ هل نسترسـل في الرثاء الذاتي وفي اسـتدرار شفقة الآخرين علينا، أم نحجب الذات في حياة من الخدمة للآخرين؟

١: ١٣ ينتقـل يعقوب الآن إلى موضوع التجارب غير المقدّسـة (ع١٣-١٧). فكمـا أن التجارب المقدّسـة تهـدف إلى إظهـار ما هو الأفضـل فينا، هكـذا أيضًا تهدف التجارب غير المقدسـة إلى إبراز ما هو الأسـوأ فينـا. ثمة أمر يجـب إدراكه بوضوح، وهـو أنه عندما نُجـرَّب لفعل الشـر، لا تكـون هذه التجربـة من عند الله. فـالله يقوم فعلاً بامتحان الإنسـان من جهة إيمانه، لكنه تعالى لا يجرِّب الإنسـان البتة لحمله على اقتراف الشـر. فلا علاقة لله نفسه **بالشـرور**، كما أنه لا يغوي أحدًا لفعل الخطية.

١: ١٤ الإنسـان هو دائمًا على اسـتعداد لرفع مسؤولية خطاياه عنه. فإذا لم يكن بوسـعه ملامة الله، فإنه سـيتبنى أسـلوبًا يسـتخدمه علم النفس المعاصـر بقوله إن الخطية هـي مرض. وهو يسـعى بهـذه الطريقـة إلى الهرب من الدينونـة. لكن الخطية ليسـت مرضًا إنهـا إخفاق على الصعيد الأدبي، ينبغي للإنسان أن يُحاسَب عليه. كما أن بعضهم يحاولون حتى جعل الأشياء الجامدة وغير الحية هي المسؤولة عن خطاياهم. لكن الأشياء المادية ليست خاطئة بحد ذاتهـا. فالخطية لا تبدأ من هنـاك. إن يعقوب يضع إصبعه على مكمن الداء عندما يقول: «**كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شـهوته**». فالخطية تأتي من داخلنا، من طبيعتنا القديمة والشـريرة والساقطة. قال يسوع: «لأن من القلب تخرج أفكار شـريرة: قتل، زنى، فسق، شهادة زور، تجديف» (مت١٥: ١٩).

إن الكلمة التي يعتمدها يعقوب بشـأن الشهوات في العدد ١٤، قد تشـير إلى أي شـكل من الشهوة، الصالحة أو الردية، وهذا ما يؤكده الرسـول هنا. فالشـهوة تشبه في هذا العـدد بامرأة شـريرة تعرض إغراءاتهـا، وتغوي ضحاياهـا. إن كل واحـد منـا يجرَّب؛ ولدينا شـهوات دنيئة ورغبات غير مقدسة تدفعنا باستمرار إلى فعل الشر. فهل نقف أشـبه بفريسـة عاجزة عندما **ننجذب وننخدع من شـهوتنا**؟ كلا البتة، بل باستطاعتنا طرد كل أفكار الخطية من أذهاننا، من أجل التركيز على كل ما هو طاهر ومقدّس (في٤: ٨). كذلك في وسـعنا، لحظـة التجربة العنيفة، أن ندعو باسـم الرب، متذكرين أن «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنّع» (أم١٨: ١٠).

١: ١٥ إن كان الأمـر كذلـك، فلمـاذا نخطـئ إذًا؟ الجواب هو التالي: «**ثُمَّ الشـهوة إذا حبلت تلد خطية**». فعوضًا عن طرد الفكر الرديء، باسـتطاعتنا تشجيعه وتغذيتـه والاسـتمتاع به. إن عمـل الإذعان هذا هو

أشبه بالوصال الزوجي، لأن الشهوة تحبل، ثم تضع طفلاً مسخًا يدعى **الخطية**. بمعنى آخر، إن كنا نفكر، لوقت طويل، في عمل محظور علينا، فلا بد من أن نقترفه في نهاية المطاف. وهذه العملية المتعلقة بالشهوة التي تحبل وتلد خطية، تجد لها خير إيضاح في حادثة داود مع بثشبع (٢صم١١: ١-٢٧).

ثم يضيف يعقوب بالقول: **والخطية إذا كملت تنتج موتًا**. ليست الخطية شيء قاحل أو عقيم؛ إنها تنتج ذرية خاصة بها. والتصريح بأن الخطية تنتج موتًا، يمكن فهمه من عدة أوجه: أولاً، أن خطية آدم جلبت الموت الجسدي عليه وعلى ذريته (تك٢: ١٧). لكن الخطية تقود أيضًا إلى الموت الروحي الأبدي، أي انفصال الإنسان النهائي عن الله وعن بركته (رو٦: ٢٣) كذلك تستطيع الخطية، بمعنى من المعاني، أن تتسبّب بموت المؤمن. مثلاً نقرأ في ١تيموثاوس ٥: ٦ أن أرملة مؤمنة تعيش في التنعم قد ماتت وهي حيّة. هذا يعني أنها تبدّد حياتها، وأنها تخفق تمامًا في تتميم القصد الذي من أجلها خلّصها الله. إن انقطاع الشركة مع الله، يشكل، بالنسبة إلى المؤمن، صنفًا من الموت الحي.

١: ١٦، ١٧ إنه لأمر مألوف عند الذين يسقطون في الخطية أن يلوموا الله، لا أنفسهم. فهم يخاطبون خالقهم بما معناه: "لماذا صنعتني هكذا؟". لكن هذا اللوم يشكّل ضربًا من الخداع الذاتي، إذ لا يصدر عن الله إلا العطايا الصالحة. إنه في الواقع، **مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة**.

يصف يعقوب الله بأنه **أبو الأنوار**. إن الكلمة أب، في الكتاب المقدس، وردت أحيانًا بمعنى خالق أو مصدر (راجع أيوب ٣٨: ٢٨). من هنا، الله هو خالق **الأنوار** أو مصدرها. لكن، ما المقصود **بالأنوار**؟ إنها، ولا شك، تشمل الأجرام السماوية، كالشمس والقمر والنجوم (تك١: ١٤-١٨؛ مز١٣٦: ٧). وبالإضافة إلى ذلك، فالله هو أيضًا مصدر كل نور روحي. إذًا يجب اعتباره مصدر كل شكل من أشكال النور في الكون.

الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. فالله يختلف عن الأجرام السماوية التي خلقها. فهي تتعرض باستمرار لتبديلات وتغييرات؛ أما الله، فلا يتأثر بذلك البتّة. لعل يعقوب لم يكن يفكّر هنا في انخفاض أشعة نور الشمس والنجوم فحسب، بل أيضًا في التبديلات التي تطرأ على علاقتها بالأرض عند دوران كوكبنا. إن عامل التغيير هو الذي يميّز الشمس والقمر والنجوم. والعبارة «**ظل دوران**» قد تعني **الظل الناتج من الدوران**. وربما تكون الإشارة هنا إلى الظلال التي تخيم على الأرض من جرّاء دوران الأرض حول الشمس، أو إلى الكسوفات. فكسوف الشمس، مثلاً، يحدث عند سقوط ظل القمر على الأرض؛ لكن الأمر يختلف تمامًا بالنسبة إلى الله، إذ **لا تغيير فيه ولا أي ظل ناتج من دوران**. كما أن عطاياه هي **كاملة** نظيره. إذًا من غير المعقول أن يقدم أبدًا على إغواء الإنسان لفعل الخطية. فالتجربة مصدرها طبيعة الإنسان الشرير نفسها.

لنمتحن إيماننا بشأن موضوع التجارب غير المقدّسة: هل نشجّع الأفكار الشريرة على البقاء في أذهاننا، أم نطردها بسرعة؟ وعندما نخطئ، هل نقول إنه لم يكن باستطاعتنا أن نتصرف بخلاف ذلك؟ هل نلوم الله عندما نجرب بأن نخطئ؟

٣ـ كلمة الله (١: ١٨-٢٧)

كان يعقوب قد ذكر أن الله هو أبو الأنوار. والآن يذكّرنا بأنه أيضًا أبونا، وقد خصّص لنا دورًا فريدًا في نوعه ضمن خليقته الفسيحة؛ وباستطاعتنا القيام بهذا الدور عندما نطيع كلمة الحق (ع١٩ـ ٢٧).

١ : ١٨ يصوّر لنا هذا النص علاقة الولادة الجديدة بكلمة الله بعد أن يقوم الروح القدس بتسليطها على حياتنا. وهكذا نقرأ أنه «**شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه**». **شاء**: هذا يرينا السبب الذي دفعه إلى تخليصنا. ليس فينا أي استحقاق أرغمه على القيام بذلك، لكنه تمّمه بفعل مشيئته المحرّة. إن محبته لنا لم نستحقها نحن، ولا اشتريناها، ولا سعينا في إثرها؛ بل هو من تطوّع لذلك بشكل تام. وهذا الأمر، ينبغي أن يدفعنا إلى التعبد له. **ولدنا**: الإشارة هنا هي إلى الولادة الجديدة. فمن خلال هذه الولادة الروحية، نحن نصبح أولاده. وهذه العلاقة لا يمكن أن يطرأ عليها أي تغيير، لأنه من غير الممكن أبدًا إلغاء الولادة. **بكلمة الحق**: الكتاب المقدس هو الأداة لحصول الولادة الجديدة. فللكتاب المقدس، سواء بالقراءة أو السماع، دور فعّال دائم في كل عملية اهتداء حقيقية. إذ ليس بوسعنا، بمعزل عن الكتاب المقدس، أن نعرف طريق الخلاص. ولولاه ما أمكننا، بالحقيقة، حتى معرفة أن الخلاص هو متاح لنا.

لكي نكون باكورة من خلائقه. إن الكلمة باكورة ترتبط بثلاث فكَر رئيسية:

أولاً، كانت باكورة الحصاد تشير إلى الحزمة الأولى من غلة الحبوب الناضجة. لقد كتب يعقوب إلى المؤمنين الأولين في التدبير المسيحي. فالمؤمنون جميعهم، يشكّلون بالطبع **باكورة** من خلائقه تعالى، لكن الإشارة في المرتبة الأولى هي إلى المسيحيين العبرانيين الذين وجّه إليهم يعقوب رسالته.

ثانيًا، كانت الباكورة تُقدَّم إلى الله عرفانًا بجميل سخائه، واعترافًا بأن الكل منه وله. إذًا، ينبغي لكل المؤمنين أن يقدّموا ذواتهم لله كذبائح حية (رو١٢: ١، ٢)،

ثالثًا، كانت الباكورة بمثابة ضمان أو عربون للحصاد الكامل، لقد شبّه يعقوب قرّاءه بالحزم الأولى في حصاد المسيح ثم يأتي بعدهم كثيرون على مر العصور، لكن أولئك جعلوا مثالاً للقديسين، إظهارًا لثمار الخليقة الجديدة. وفي نهاية المطاف، سيملأ الرب كل الأرض بآخرين من أمثالهم أيضًا (رو٨: ١٩-٢٣). ولا يكمل الحصاد إلا مع رجوع الرب يسوع ليملك على الأرض. وإلى أن يحين ذلك الوقت، كان عليهم أن يقدّموا للمسيح الطاعة نفسها التي سيقدّمها العالم بأسره خلال فترة الملك الألفي. ومع أن هذا النص يشير، بشكل رئيسي، إلى مسيحيين من القرن الأول، فهو يهم كل واحد منا، نحن الذين نكرم اسم المسيح.

١ : ١٩أ يعرض علينا يعقوب، في ما تبقى من هذا الأصحاح، توجيهات عملية عن الطريقة التي نستطيع أن نكون بها باكورة من خلائقه. إنه يبسط البر العملي الذي ينبغي أن يميز أولئك الذين ولدوا ثانية بكلمة الحق. نحن نعلم أننا ولدنا بالكلمة، بقصد إظهار حق الله. إذًا، لنستعرض الآن مسؤولياتنا.

نحتاج إلى أن نكون **مسرعين في الاستماع**. غريبة هذه التوصية، فهي تتضمن شيئًا من الفكاهة، وكأن المعنى المقصود هنا هو: "عجّل واسمع". أي أننا نحتاج إلى أن نكون مستعدين للاستماع إلى كلمة الله، كما أيضًا إلى

كل مشـورة تقية، أو مناشدة. ينبغي لنا أن نتقبل التعليم من الروح القـدس. وبالمقابل، علينـا أن نكون **مبطئين في التكلم**. يدهشـنا ما عند يعقوب من اهتمام بشـأن ما نتكلـم به. إنه ينبّهنا لضرورة أخذ جانب الحيطة والحذر في حديثنا. وحتى الطبيعة نفسـها تعلمنا هذا أيضًا؛ فقد لحظ أبكتتوس *Epictetus* في العهد القديم الغابر ما يلي: "إن الطبيعة خصّتنا نحن البشر بلسان واحد، لكن بأذنين اثنتين، حتى يتسـنّى لنا أن نسمع من الآخرين ضعف ما نتفوه به". كذلك يوافق سليمان على ما يقوله يعقوب، إذ سـبق له أن صرخ قائلاً: «من يحفظ فمه يحفظ نفسه. من يشـحر شـفتيه فله هـلاك» (أم١٣ : ٣). كما أنه هـو القائل أيضًا: «كثرة الكلام لا تخلوا من معصية. أما الضابط شـفتيه فعاقـل» (أم١٠ : ١٩). إذًا، إن الذين يكثرون الكلام، يقعون في التعدي، في نهاية المطاف.

١ :١٩ب، ٢٠ ينبغي لنا أن نكون **مبطئين في الغضب**. إن الإنسان السريع الغضب **لا يصنع ذلك الصنف** من البر الـذي يتوقّعه الله من أولاده. فالذين يغضبون، يعطون الناس انطباعًا سـيئًا عن المسـيحية. ومـا يزال يصح القول: «البطيء الغضب خير من الجبار، ومالك روحه خير ممن يأخذ مدينة» (أم١٦ : ٣٢).

١ : ٢١ إن أسـلوبًا آخـر، نُظهـر نفوسـنا على أساسـه كباكـورة من خلائقه، يكـون **بطرحنا كل نجاسـة وكثرة شر**. فهذه الرذائل هي أشبه بثياب قذرة يلزم أن نطرحها عنا مرة وإلى الأبد. **النجاسـة** تشتمل على كل شكل من أشكال عدم النقاوة، على مختلف الأصعدة: الروحية، أو الفكرية، أو الجسـدية. وقد يشير التعبير «**كثرة شر**» إلى تلك الأنواع من الشـرور التي هي من رواسـب زمن ما قبل الاهتداء. وربما تشير إلى الخطايا التي تفيض (وردت الكلمة "كثـرة"، في بعض الترجمات بمعنـى "فيض") من حياتنـا لكي تلمس حياة الآخرين، أو إلى الشـر المتزايد. وبهـذا لم يكن يعقوب يصف الشـر المفـرط، بل بالحري ما للشـر من طابع رديء وسـيئ للغاية. إن المعنى العام واضح جـدًا: ينبغي لنـا أن نكون في حالة مـن الطهارة الأدبية إن كنا نرغب في قبول حق كلمة الله.

الوداعة هي أيضًا من المستلزمات الأخرى لقبول الحق الإلهـي. من الممكن جدًا أن نقرأ الكتاب المقدس من دون السـماح له بأن يتكلم إلينا. وباستطاعتنا دراسته بشكل مدرسـي من دون التأثّر البتة بمضمونـه. إن كبرياءنا، مع قسوتنا وخطيتنا، تحول دون أن نقبله ونتجاوب معه.

وبالمقابـل، فإنه بوسـع أصحـاب الأرواح الخاضعة والمتواضعـة وحدهم أن يتوقعوا جني أكبر فائدة ممكنة من الكتاب المقدس: «يدرّب الودعاء في الحق ويعلم الودعاء طرقـه» (مـز٢٥: ٩)، «وإلى هـذا أنظر، إلى المسـكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي» (إش٦٦: ٢).

يتحدث يعقوب عن الكتاب المقدس بوصفه **الكلمة المغروسة القادرة أن تخلّص نفوسكم**. والمقصود هنا هو أن الكلمة تصبح بمثابة وديعة مقدّسة داخل حياة المسيحي عند ولادته ثانية. فهذه الكلمة تقدر أن **تخلّص نفوسكم**. لأن الكتـاب المقدس هـو الأداة التي يسـتخدمها الله في الـولادة الجديدة. إنه تعالى يسـتخدمها لا لخلاص النفس من عقاب الخطية فحسب، بل من تسلطها على الإنسان أيضًا. كما يستخدمها لا لتخليصنا من الهلاك الأبدي فحسب، بل من الضرر والأذى في هذه الحياة أيضًا. إن هذا الوجه الراهن والمسـتمرّ للخلاص هو، ولا شك، ما يتناوله يعقوب في العدد ٢١.

١: ٢٢ لا يكفي أن تحصل على الكلمة المغروسة، بل ينبغي لنا أن نطيعها. ولا فضل في اقتناء الكتاب المقدس أو حتى في قراءته كأثر أدبي، بل يجب أن تتوافر فينا رغبة عميقة في الاستماع إلى الله عندما يتحدث إلينا، مسلّمين حياتنا لإرادته. علينا أن نترجم الكتاب المقدس إلى عمل؛ وينبغي للكلمة أن تتجسد في حياتنا. فعلينا ألا نقترب، في أي وقت من الأوقات، من الكتاب المقدس من دون السماح له بأن يغير حياتنا للأفضل. والادعاء بأن محبتنا لكلمة الله عظيمة، أو حتى التظاهر بأننا تلاميذ للكتاب المقدس، هو شكل من الخداع الذاتي ما لم تعمل معرفتنا المتزايدة على جعلنا أكثر شبهًا بالرب يسوع. إن الاستمرار في تحصيل معرفة فكرية بالكتاب المقدس من دون إطاعته، قد يُمسي شَرَكًا عوضًا عن كونه بركة. لأننا إذا تعلمنا بشكل متواصل ما ينبغي لنا فعله، من دون أن نفعله، ينتابنا شعور بالكآبة والخيبة، كما أننا نتقسّى. "إن التأثُّر النظري، حيث لا يعبِّر عنه التطبيقُ العملي، يؤدي إلى التعثُّر الكلي"". إلى ذلك تزداد مسئوليتنا تجاه الله. فالتركيبة النموذجية تقضي بقراءة الكلمة، وإطاعتها بالتمام.

١: ٢٣، ٢٤ إن كان **أحد يسمع الكلمة** من دون أن يغير سلوكه، فذلك **يشبه رجلاً** يلقي نظرة خاطفة إلى المرآة في كل صباح، ثم **ينسى** تمامًا ما رأى. إنه لا يجني أية فائدة من المرآة، أو من النظر إليها. طبعًا، ثمة بعض الأمور التي في مظهرنا لا يمكن تغييرها، لذا ينبغي لنا، على الأقل أن نتواضع ونقبل حياتنا كما هي. وعندما تقول المرآة: "اغتسل" أو "احلق"، أو "مشِّط" أو "استعمل الفرشاة"، فعلينا العمل بموجب ما يُقال لنا. وإلا، فلا فائدة عملية نجنيها من المرآة.

من السهل قراءة الكتاب المقدس بشكل عَرَضي، أو بدافع من الشعور بالواجب من دون أن نتأثر في الصميم بما نقرأ. فنحن نرى ما ينبغي لنا أن نكون عليه، لكننا سرعان ما ننسى، وهكذا نعيش وكأننا بلغنا الكمال. إن هذا الصنف من الاكتفاء الذاتي يمنع النمو الروحي.

١: ٢٥ وبالمفارقة مع ذلك، ثمة الرجل الذي **يطّلع** على كلمة الله، وقد اعتاد على اتباعها في حياته عمليًا. إن لتأمله وتفحصه الدقيق، نتائج عملية في حياته، فالكتاب المقدس يشكل في نظره **ناموس الحرية الكامل**، كما أن وصاياه ليست ثقيلة. إنها تدعوه إلى فعل ما ترغب فيه طبيعته الجديدة؛ وإذ يطيع يختبر التحرير الكامل من التقاليد البشرية، ومن الحجج الجسدية. فالحق إذًا يحرره؛ وهذا هو الإنسان الذي ينتفع من الكتاب المقدس. فلا ينسى ما قرأ، بل يسعى بالحري إلى العيش بموجبه بشكل عملي في كل يوم. إنه في بساطة طاعته، التي هي أشبه بطاعة الأولاد، يجلب لنفسه بركة ثمينة فائقة؛ **وهذا يكون مغبوطًا في عمله**.

١: ٢٦، ٢٧ في هاتين الآيتين مفارقة بين **الديانة الباطلة والديانة الطاهرة النقية**. **فالديانة** تفيد هنا معنى أنماط السلوك الخارجية التي لها علاقة بالمعتقد الديني. فهي تشير إلى المظاهر الخارجية عوضًا عن الروح الداخلية، وهي تعني صور التعبير الخارجي عن المعتقد من خلال العبادة والخدمة، عوضًا عن العقائد موضوع الإيمان.

إن كان أحد يظن أنه ديّن، لكنه يعجز عن ضبط **لسانه**... **فديانة هذا باطلة**. قد يحفظ مختلف أنواع الشعائر الدينية التي تجعله يظهر بمظهر التقي جدًا، لكنه يخدع نفسه. فالله لا يُسرّ بممارسة الطقوس والشعائر، بل تهمه حياة التقوى العملية.

إن لسانًا من دون لجام هو مجرّد مثال على الديانة الباطلة. فكل تصرف، أو سلوك، لا يتلاءم مع الإيمان المسيحي، هو سلوك باطل. يروى عن بائع أنه كان حسب الظاهر تقيًّا، لكنه دجّال، وكان يقطن في شقة تقع فوق محله. لقد تعوّد في كل صباح أن ينادي مساعده: "يا جون!"

"نعم، سيدي".

"هل خلطت الحليب بالماء؟".

"نعم سيدي".

"هل لوّنت الزبدة؟".

"نعم سيدي".

"هل أضفت النشارة إلى البُن؟".

"نعم سيدي".

"إذًا، هيّا نُصَلِّ معًا صلاة الصَّباح".

إن يعقوب يقول: **ديانةٌ كهذه باطلة.**

إن الله يبحث عن التقوى العملية التي تهتم بالآخرين، وتتحنّن عليهم، وتحافظ على طهارة الحياة الشخصية. وكأمثلة على **الديانة الطاهرة والنقية**، يمدح يعقوب الرجل الذي يفتقد **اليتامى والأرامل** المعوزين، والذي يحفظ نفسه **بلا دنس من العالم.**

بكلام آخر، على الولادة الثانية أن تظهر بشكل عملي في أعمال الرحمة وسيرة الانفصال. يصف جي كنج *Guy King* هاتين الفضيلتين بالمحبة العملية والقداسة العملية.

ينبغي لنا أن نضع إيماننا الشخصي على المحك، في ضوء الأسئلة التالية: هل أقرأ الكتاب المقدس برغبة متواضعة في أن يقوم الله بتبكيتي، وتعليمي، وتغييري؟ هل يهمني أن يكون لساني مضبوطًا وملجّمًا؟ هل أعلّل حدة طبعي، أم أرغب في إحراز انتصار عليها؟ كيف أتصرف عندما يبدأ أحدهم برواية نكتة بذيئة؟ هل يترجَم إيماني بأعمال لطف ورحمة مع الذين لا يستطيعون أن يردّوا لي الجميل؟

٤ـ إدانة المحاباة (٢: ١-١٣)

يشجب النصف الأول من الأصحاح الثاني إظهار الاعتبار لشخص دون سواه. فالمحاباة هي طريقة غريبة تمامًا عن مثال الرب، أو عن تعاليم العهد الجديد، إذ لا مكان في العهد الجديد للتكبّر على الآخرين أو للتمييز بين الناس.

٢: ١ أولاً، وقبل كل شيء، ثمة حظر صريح بشأن هذه الممارسة. ولنلاحظ أن هذه المناشدة هي موجّهة إلى جماعة من المؤمنين، كما تؤكد لنا العبارة: «**يا إخوتي**». إن **إيمان ربنا يسوع المسيح** يشير إلى الإيمان المسيحي، لا بمعنى الثقة بالرب أو الاتكال عليه فحسب، بل بالحري مجموعة ما سلمنا من حق. وإذا ربطنا ما بين هذه الأفكار، نجد أن يعقوب يقول لنا هنا: "**يا إخوتي، لا تظهروا محاباة في ممارستكم للإيمان** المسيحي". إن التشامخ، كما التمييز الطبقي، لا ينسجمان أبدًا مع المسيحية الحقيقية. كما أن تذلل الإنسان أمام كبرياء أخيه في البشرية لا مكان له في محضر رب المجد. فالازدراء بالآخرين من جراء الولادة أو العرق، أو الجنس، أو الفقر، يشكّل في الواقع إنكارًا للإيمان. إن هذه الوصية لا تتناقض مع نصوص أخرى في العهد الجديد، حيث يتعلم المؤمنون إن يهابوا الحكام والسادة والشيوخ والأهل، إذ لابد من النظر إلى الأمور المرتبة من الله بجدية (رو١٣: ٧). يتناول هذا النص من يعقوب مسألة الانحياز إلى بعض الناس وإبداء الخنوع لهم بسبب ثيابهم الباهظة الثمن أو أية فروقات مزيفة أخرى.

٢: ٢-٤ وهـذا ما يثبته الـكلام الواضح الذي يعرضه يعقوب في الأعداد ٢-٤ بشـأن ما يـدور من أحداث في جماعة المسـيحيين المحلية. وقـد برع جي كنج *Guy King* عندمـا اقترح العبارة التالية كعنوان لهذا المقطع: "مرشدو الدخول قصيرو النظر".

لقد وصل لتوه رجل تبـدو عليه الأناقة: ثيابه بهية، ويلبس **خواتم من ذهب**. فنجد مستقبل العابدين، والذي يرشدهم إلى أماكن جلوسهم، ينحني بكل احترام أمامه، ثم يواكب الزائر المشـهور إلى مقعد أمامي بارز وظاهر. ومـا إن يرجع مسـتقبل العابدين إلى البـاب، حتى يعلم بوصـول زائر آخـر؛ لكن الأمر يتعلق هـذه المرة برجل **فقير** يرتدي لباسًـا حقـيرًا. (إن العبارة "**"لباس وسخ"**" لا تعني بالضرورة أن ثيـاب هذا الرجل كانت في حاجة إلى تنظيف بل كان لباسـه حقيرًا تبعًا لأوضاعه المعيشـية الوضيعـة). هذه المرة يسـعى المسـتقبل، بـكل مهارة، لتجنيـب الجماعـة الإحـراج، إذ يعـرض علـى الزائر الوقوف عند مؤخرة الغرفة أو الجلوس على الأرض أمام مقعده هو. يبدو أنه أمـر لا يُصدَّق أن يتصرف أحدهم بهذا الشـكل. ونحن نرغب في اعتبار هذا الوضع مبالَغًا فيه، لكـن عندما ننظر إلى داخل قلوبنا نجـد أنه غالبًا ما نقوم في أوسـاطنا بهذا التمييز الطبقـي المزيف، وهكذا **نصبح قضاة أفكار شريرة**.

ولعل أفضح مثل على ذلك ضمن كنيسـة اليوم، هـو ذلك التمييز القائم أحيانًا ضـد أناس من عرق أو مـن لون مختلـف. في كثير من الأحيـان، يُنبذ المؤمنين الزنوج، أو، على الأقل، يُشـعَرون بأنهم غير مرغوب فيهـم. إن المهتدين من اليهود، لم يكونوا يُقبلون دائمًا بحفاوة، كما أن المسـيحيين الشرقيين ذاقوا هذا النوع من التمييـز، وذلك بدرجات متفاوتة. لا يخفى وجود مشاكل اجتماعية معقَّدة ضمن نطاق العلائق العرقية، لكن على المسـيحي أن يبقى أمينًـا للمبادئ الإلهية، إذ يتحتم عليه واجب التعبير، بشـكل عملي، عن حقيقة أن المؤمنين جميعهم واحد في المسيح يسوع.

٢: ٥، ٦أ إن المحابـاة لا تنسـجم علـى الإطـلاق مع الإيمان المسـيحي. ويعقوب يبرهن ذلـك في الأعداد ٥-١٣. فهو يعرض أربعة مسبِّبات مُقنعة تدعو المؤمن إلى عدم تفضيل المؤمن الغني، واحتقار الفقير.

أولاً، هذا يعني أننا نحتقر إنسـانًا قد منحه الله كرامة. لقـد اختار الله **فقراء هـذا العالم أغنيـاء في الإيمان وورثة الملكوت الذي وعد بـه الذين يحبونه**. فالفقـراء، إذًا، هم مختـارو الله، وورثـة الله، ومحبوبو الله. يذكـر لنا الكتاب المقـدس، مرارًا وتكـرارًا، إن فقراء القـوم، لا الأغنياء، هـم الذيـن ينضوون تحـت لواء المسـيح. كمـا أن ربنا نفسـه صرح بالقول: «والمسـاكين يُبشَّرون» (مت١١: ٥). كان عامة الشعب، لا الأغنياء ولا الأرستقراطيون، هـم الذين سمعوه بفـرح (مر١٢: ٣٧). كمـا أن الله لم يدعُ عددًا كبيرًا من الشـرفاء، بل دعـا بالحري الجهّال، والضعفاء، والمحتقرين عديمي الشأن (١كو١: ٢٦-٢٩). إن الأغنيـاء هم عـادة فقراء في الإيمـان، لأنهم يتحدّثون عـن غناهم، لا عن الرب. لكن، من ناحية أخرى، اختار الله الفقراء ليكونوا **أغنياء في الإيمان**. إن مسـحًا شـاملاً لمواطني الملكوت يبين لنا أنهم، في غالبيتهم، فقراء، لكنهم في الملكوت سوف يتبوأون مناصب فيها غنى ومجد. فأي ضرب من الجهل إذًا، أن يتـم التعامل بازدراء مع أولئك الذين سيُرفعون، ذات يوم، في ملكوت ربنا ومخلصنا؟

٢: ٦ب والسبب الثاني الذي يجعل من الجهل تمييز الأغنياء، هو كونهم يشكّلون أساسًا، الطبقة التي ظلمت شعب الله. فالحجة ضمنية عند هذا الحد، ولا تخلو من بعض الإرباك: إن الرجل الغني المشار إليه في الأعداد السابقة، كان، ولا شك، مؤمنًا. لكن هذا لا يعني أن الأغنياء المذكورين في العدد السادس هم بالضرورة من المؤمنين أيضًا. وهنا يقول يعقوب ببساطة ما يلي: "لماذا تفضيل قوم على قوم لمجرد أنهم أغنياء؟ أنتم في هذه الحال تكرمون من يتسلطون عليكم **ويجرّونكم إلى المحاكم**". قام كالفن *Calven* بتلخيص الحجة المعروضة هنا بقوله: "لماذا تكرمون من ينفذون فيكم حكم الإعدام؟".

٢: ٧ والسبب الثالث الذي يمنع المؤمنين من المحاباة مع الأغنياء، هو أنهم يستخدمون عادة كلامًا شريرًا أو قاسيًا بالنسبة إلى اسم المسيح، الاسم الحسن الذي دعي به على المؤمنين، أي على المسيحيين أو أتباع المسيح. ومع أن خطية التلفظ بكلمات نابية على الرب، ليست حكرًا على الأغنياء وحدهم، فقد يصح القول دائمًا إن عملية اضطهاد المؤمنين المساكين، غالبًا ما يرافقها كلام شرير موجّه ضد المخلّص. وعليه، لماذا يحتاج المؤمنون إلى أن يفضّلوا أي إنسان لمجرد كونه غنيًا؟ إن الصفات الملازمة للأغنياء، لا تتضمن عادة أي إكرام للرب يسوع. بعضهم يرون في العبارة «**الاسم الذي دعي به عليكم**»، إشارة إلى المعمودية المسيحية. فالمؤمنون هم مُعمَّدون باسم الرب يسوع. وهذا هو الاسم عينه الذي اعتاد الأغنياء أن يجدفوا عليه.

٢: ٨ وحجة يعقوب الرابعة هي أن محاباة الأغنياء تنقض الناموس القائل: «تحب قريبك كنفسك». لقد سُمّي الناموس الملوكي، إذ إنه يخص الملك، ولكونه أيضًا الملك على سائر النواميس الأخرى. ربما استطاع مستقبِل العابدين أن يبرر تصرفه مع الرجل الغني، بزعمه أنه كان يحاول أن يحب قريبه كنفسه فحسب؛ لكن هذا لا يبرّر تصرفه مع الفقير. فإن كنا نحب حقًا قريبنا كنفوسنا، عندئذ سنهتم بمعاملته حتى النهاية كما نرغب في أن نُعامَل. وبالطبع، لن نريد أن نُحتقر لمجرّد كوننا فقراء. وهكذا، نحن بدورنا، لن نحتقر الآخرين من جراء ذلك.

إن هذا التعليم هو، ولا شك، الأكثر ثورية بين جملة تعاليم الكتاب المقدس الأخرى: **تحب قريبك كنفسك.** تأمل قليلاً في معناه. فهذا يعني أنه علينا أن نهتم بالآخرين، تمامًا كاهتمامنا بنفوسنا، ونرغب في أن نكون على استعداد لمشاركة الفقراء في مقتنياتنا المادية. وقبل كل شيء، علينا أن نبذل قصارى جهدنا لنوفّر لهم فرص التعرّف بالمخلّص المبارك. غالبًا ما نبني قراراتنا على مدى مردود أفعالنا علينا. فنحن إذًا، متمحورون على ذواتنا وهكذا ننجذب إلى الغني، راجين من ذلك المجازاة اجتماعيًا أو ماديًا. كما أننا نهمل الفقراء لأن احتمال انتفاعنا منهم ضئيل جدًا. إن **الناموس الملوكي** يحظر علينا هذا النوع من الاستغلال الأناني للآخرين. فهو يعلّمنا أن نحب القريب كالنفس. وفي حال تساءلنا: «من هو قريبي؟» نفهم من قصة السامري الصالح (لو ١٠: ٢٩-٣٧) أن قريبنا هو أي شخص محتاج باستطاعتنا أن نمد له يد العون.

٢: ٩ المحاباة هي انتهاك للناموس الملوكي. إنها **خطية** وتعدٍّ في آن. فالخطية هي أي نقصان في العمل بمقتضى إرادة الله، أو التقصير في تطبيق مقاييسه؛ أما التعدي، فيشير إلى انتهاك قانون معروف. بعض الأفعال خاطئة

ما دامت بحد ذاتها ردية، لكنها تمسي تعدِّيًا عند وجود قانون محدَّد ينهي عنها. والمحاباة هي خاطئة، لأنها ردية بحد ذاتها. لكنها أيضًا تعد بسبب وجود قانون ضدها.

٢: ١٠ إن انتهاكنا لجزء واحد من الناموس يجعلنا مجرمين في الكل. فالناموس هو أشبه بسلسلة مؤلَّفة من عشر حلقات؛ وأي كسر لحلقة واحدة منه، يكسر السلسلة كلها. كما أن الله لا يسمح لنا بحفظ الوصايا التي تستهوينا، وبكسر ما تبقَّى.

٢: ١١ إن الله الذي نهى عن الزنى هو نفسه نهى أيضًا عن القتل. ربما لا يكون إنسانًا ما زانيًا، لكنه اقترف عملية قتل. فهل يعتبر أنه تعدَّى الناموس؟ بالطبع نعم. فجوهر الناموس هو أن نحب قريبنا كنفوسنا. إن الزنى يشكِّل بكل تأكيد، انتهاكًا للناموس، وهذا يصح أيضًا على القتل، وعلى التشامخ، وعلى التمييز الطبقي. فإذا ما اقترفنا أيًّا من هذه الخطايا، نكون بذلك قد فشلنا في القيام بما يأمر به الناموس.

الوصايا العشر

يلز منا ا لآ نأ ننتو ققفقليلاً فيمعر ضبحثنا لمحاجَّةيعقوب ،كينعا لجمشكلةأساسيةبارزة فيهذ ا ا لإ طا ر : " هلا لمسيحيو نهمتّحت الناموس، أملا؟". يبدو و اضحًا أنيعقو بكان يطبِّقالو صايا العشر على ا لمسيحيينا لمؤمنين. إنهيشير بشكلمحدَّ د إلى الو صيتينا لسا دسة و ا لسا بعة ا للتينتنهيا نعنا لقتلو ا لز نى . كما أنهيوجز أيضًا الو صايا ا لخمسا لأخير ةبهذه ا لكلما ت : « تحبقر يبككنفسك » . غير أ ن جعلا لمؤ منينتحتا لنا مو س ، كقا نو نللحيا ة ، يتنا قضمعنصو صأ خر ى منا لعهد ا لجد يد ، نذ كر منها على سبيلا لمثا ل : ر و مية ٦: ١٤ « لستمتحتا لنا مو سبلتحتا لنعمة » ؛ ر و مية ٧: ٦ «و أما ا لآ نفقد تحر ر نا منا لنا مو س » ؛ ر و مية ٧: ٤ «أ نتمأ يضًا قد متمللنا مو سبجسد ا لمسيح » ؛ (ر ا جعأ يضًا غلا طية ٢: ١٩؛ ٣: ٣، ٢٤، ٢٥؛ ا تيموثاوس ١: ٨، ٩ عبر انيين ٧: ١٩) . إ نحقيقة كو نا لمسيحيينليسو ا تحت الو صايا العشر ، هيمصر حعنها ، بكلو ضو ح ، في٢كورنثوس٣:٧-١١.

لما ذ ا إذًا يُطبّقيعقو بمسألة النا مو سهذ ه على ا لمؤ منينفيعصر ا لنعمة ؟ أ و لاً ، ليس ا لمسيحيو نتحتا لنا مو سكقا نو نللحيا ة . فا لمسيح ، لا النا مو س ، هو مثا لا لمسيحي . لأ نحيثا لنا مو س ، يلز مأ يضًا و جو د عقا ب ، و ا لعقا بعلى كسر النا مو سهو ا لمو ت ؛ لكن ا لمسيحما تليد فععقا با لنا مو سا لمكسو ر . إذًا ، إ نا لذ ينهمفيا لمسيحقد تخلَّصو ا من النا مو سو منعقا به . أ ما با لنسبة إ لى مبا د ئ الناموس، فيبقى لهاقيمةثابتة، و هذ ها لمبا دئ تبقى سا ر ية ا لمفعو لعلى كلا لنا سفيكل العصور .فالو ثنية، و الز نى، و القتل، و السر قة، هيبحدذ اتها شر . إنها غير صا لحةللمؤ منين ، كما أيضًا لغير ا لمؤ منين ؛ إلى ذلك، فقد تكَّر ر فيا لر سا ئلذ كر تسعمنا لو صا يا ا لعشر . و ا لو صية ا لو حيد ة التيلمتُذ كر هيا لتيتتعلَّق با لسبت . فلا يُطلبمنا لمسيحيين ، فيأ ي مكا نمنا لكتا با لمقد س ، أ نيحفظو ا ا لسبت ، أ و اليو ما لسا بعمنا لأ سبو ع ، لأ نها و صية طقسية ، لا أ د بية . فا ليهو د يلا يخطئأ سا سًا إذ ا اشتغلفيا ليو ما لسا بع ، لكنا لخطأ هو في

تعديوصيةاللهبشأناليومالذيأفرزه.

أ خيرً ا ، علينا أ ننذ كر أ نا لو صا يا ا لتسع ا لتيتكرّ ر تفيا لر سا ئل ، لمتُقدَّ م كناموس، بل كتو جيها تفيا لبر لشعبا لله . بكلمة أ خر ى ، ا للهلا يقو للمسيحيين : " إ نكنتتسر ق ، فعند ئذ يحكمعليكبا لموت " أو " إذ ا ا قتر فتعملاً غير أ خلاقي ،فسو فتفقد خلاصك " ،بليقو لبا لحر ي " لقد خلّصتكبنعمتي . و ا لآ نأ ر يد منكأ نتعيش حيا ة مقدّ سة نا بعة منمحبتكلي . إ نكنتتر غب فيا لا طلا ععلى ما أ تو قعهمنك ، فسو فتجد ه على صفحا تا لعهد ا لجد يد . هنا كستجد تكر ارً ا لتسعمنا لو صا يا ا لعشر . و ستجد أ يضًا تعا ليم الربيسوعالتيتدعوفيالواقعإلى مقياس من السلوك أسمى من الذي يطلبه الناموس". إذًا، لا يجعل يعقو با لمؤ منينتحتا لنا مو سو تحند ينو نته فهو لا يقول : "إنكنتمتحابو نبالوجو ه ،فأنتمبذلك تكسرونالناموس،ومنثمتستحقونالموت".

٢: ١٢ إن يعقوب يقول هنا ما معناه: لم تعودوا أنتم المؤمنين تحت ناموس العبودية، بل بالحري تحت ناموس الحرية — الحرية لفعل ما هو حق. إن ناموس موسى أوجب عليكم محبة القريب، لكنه لم يزوّدكم بالقدرة على ذلك، كما أنه حكم عليكم بالموت، في حال أخفقتم. أما النعمة، فقد أعطتكم القوة لمحبة القريب؛ كما أنكم تجازون حسنًا لدى قيامكم بذلك. أنتم لستم تفعلون ذلك لكي تخلصوا، بل بالحري لكونكم مخلّصين. وأنتم تقدمون على ذلك. لا خوفًا من العقاب، بل على أساس المحبة للرب الذي مات لأجلكم وقام. وعندما ستقفون أمام كرسي المسيح، ستُكافأون أو تخسرون بناء على هذا المقياس.

إذًا، لن تكون مسألة خلاص، بل مسألة "مجازاة". إن العبارة «**هكذا تكلّموا وهكذا افعلوا**» تشير إلى الأقوال وإلى الأفعال. فعلى الحياة أن تنسجم مع الاعتراف بالكلام. وهكذا ينبغي للمؤمنين تجنّب المحاباة، سواء بالكلام، أم بالأفعال. إن انتهاكات كهذه لناموس الحرية، سوف تُدان أمام كرسي المسيح.

٢: ١٣ يجب فهم هذا العدد في ضوء قرينته. لقد خاطب يعقوب هنا المؤمنين. فالأمر لا يتعلّق بالعقاب الأبدي هنا، لأن هذا العقاب دُفع مرة وإلى الأبد في صليب الجلجثة. لكن الحديث هو عن معاملة الله لنا نحن أولاده، في هذا العالم. إن كنا لا نُظهر رحمة للآخرين، فهذا يعني أننا لسنا نسير في شركة مع الله، من ثم نتوقع مكابدة عواقب حالة من التهاون والفتور.

الرحمة تفتخر على الحكم: هذه العبارة ربما تعني أن الله يفضل أن يظهر لنا رحمة على أن يقوم بتأديبنا (مي٧: ١٨). ذلك أن الدينونة هي «عمله الغريب». وقد تعني أنه باستطاعتنا أن نفتخر أو نبتهج في وجه الحكم، إن كنا أظهرنا رحمة للآخرين، لكن في حال لم نتصرّف بالرحمة مع أولئك الذين يحق لنا الحكم عليهم، فلن ننال أية رحمة. كما أن تلك العبارة تعني أن الرحمة دائمًا أعظم من الحكم. يبدو أن الفكرة العامة هنا هي أنه في حال أظهرنا رحمة للآخرين، فإن الحكم الذي كان سيصدر بحقنا، ستُستبدل به الرحمة عندئذ.

لنمتحن نفوسنا إذًا حول هذا الموضوع الهام. هل نظهر لأبناء عِرقنا لطفًا أكثر مما نظهر لآخرين من عِرق آخر؟ هل نميل إلى الشباب أكثر من ميلنا إلى من هم أكبر سنًا؟ هل نفضّل أصحاب المظهر الأنيق على من مظهرهم

بسيط وعادي؟ هل يهمّنا مصادقة أناس بارزين أكثر من المغمورين نسبيًا؟ هل نتجنّب أصحاب العاهات الجسدية ونسعى في أثر رفقة الأقوياء والأصحاء جسديًا؟ هل نفضّل الأغنياء على الفقراء؟ هل نتصرف ببرودة مع "الغرباء" الذين يتكلّمون لغتنا بلهجة غريبة؟

وإذ نجيب عن هذه الأسئلة، لنتذكّر أن الطريقة التي نُعامل بها المؤمن الأقل محبوبية، هي الطريقة التي نعامل بها المخلِّص (مت٢٥: ٤٠).

٥. الإيمان والأعمال (٢: ١٤-٢٦)

ربما كانت هذه الأعداد موضوع جدل أكثر من غيرها في رسالة يعقوب. حتى إن لوثر *Luther* نفسه، هذا الرجل العظيم في الكنيسة، رأى تضاربًا غير قابل لأي شكل من التوفيق بين تعليم يعقوب في التبرير بالأعمال، وإصرار بولس على التبرير بالإيمان. غالبًا ما يُساء استخدام هذه الأعداد لدعم هرطقة "التعاون *Synergism*" القائلة بأننا نخلص بالإيمان مع الأعمال، أي أننا نحتاج إلى الإيمان بالرب يسوع مخلِّصًا لنا، لكن هذا لا يكفي؛ بل علينا أيضًا أن نضيف إلى عمله الفدائي ما نقوم به من أعمال رحمة وتعبد.

قد نضع لهذا المقطع العنوان "التبرير بالأعمال"، لأننا بمعنى من المعاني، نتبرّر فعلاً بالأعمال. وفي الواقع، يلزمنا حتى نفهم واقع الحق عن التبرير، أن ندرك أن ثمة ستة أوجه للتبرير: فنحن متبرّرون بالنعمة (رو٣: ٢٤)، وهذا يعني ببساطة أننا لا نستحق التبرير؛ بل ما نستحقه في الواقع هو عكس ذلك. ونحن متبرّرون بالإيمان (رو٥: ١)، فالإيمان هو التجاوب البشري مع نعمة الله. بالإيمان، نحصل على العطية المجّانية، والإيمان هو الذي يأخذ ما عمله الله لأجلنا. ونحن متبرّرون بالدم (رو٥: ٩)، وهو الثمن الذي كان واجبًا دفعه لتأمين تبريرنا. إن دين الخطية سدّده عنا دم المسيح الثمين، والآن بات باستطاعة الله تبرير الخطاة الفجار على أساس الإيفاء العادل الذي تم. ونحن متبرّرون أيضًا من قِبَل الله (رو٨: ٣٣). والحق المعروض هنا هو الكائن الإلهي الذي يُبرّر. ونحن متبرّرون على أساس القوة (رو٤: ٢٥)، فتبريرنا يرتبط بالقوة التي أقامت المسيح من الموت، وهذه القيامة تبرهن على رضى الله. ونحن متبرّرون أيضًا بالأعمال (يع٢: ٢٤)، فالأعمال هي البرهان الخارجي على حقيقة إيماننا؛ إنها تعبير خارجي عما هو غير منظور. وهكذا نرى أن الإنسان يتبرّر بالنعمة، وبالإيمان، وبالدم، ومن قِبَل الله، وبالقوة، وبالأعمال. لكن لا ينطوي كل هذا على أي تناقض على الإطلاق. فهذه التصريحات تعرض ببساطة أوجها مختلفة من الحق نفسه. ولكن النعمة هي المبدأ الذي على أساسه يبرّر الله؛ فالنعمة هي الأداة لنوال الإنسان التبرير، كما أن الدم هو الثمن الذي كان يلزم المخلِّص أن يدفعه؛ والله هو العامل الفعّال في التبرير؛ والقوة هي البرهان؛ والأعمال هي النتائج.

٢: ١٤ يعقوب يُصرّ على أن إيمانًا لا يُنتج أعمالاً صالحة، لا يمكنه أن يخلِّص. ثمة مفتاحان يساعداننا جدًا على فهم معنى هذا العدد: أولاً، يعقوب لا يقول: "ما المنفعة... إن كان لأحد إيمان..." لكنه يقول: «**ما المنفعة... إن قال أحد إن له إيمانًا**». بكلمة أخرى، إن المسألة هنا لا تتعلّق برجل مؤمن حقًا، لكنه غير مخلَّص؛ فيعقوب يصف الرجل الذي هو مجرّد معترف بالإيمان. فهو يقول إن له إيمانًا، لكن لا شيء في حياته يُظهر صحة ذلك. والمفتاح الثاني الذي يساعد على توضيح معنى هذا العدد، هو

مـا أوردته إحدى الترجمات، حيـث أنها اختتمت العدد بالسـؤال: "هل يقدر هذا الإيمـان أن يخلّصه؟" وبكلمة أخـرى، "هل باسـتطاعة هـذا **الصنـف من الإيمـان** أن يخلّـص؟". وفي حال طرحنا السـؤال حـول طبيعة هذا الصنف الذي يشـير إليه يعقوب، يطالعنـا الجواب عنه في القسـم الأول مـن العدد. إنه يتحـدّث عن إيمان هو مجرد ادّعاء وغير مدعوم بأعمال صالحة. إن إيمانًا كهذا، لا نفع منه، إذ كلّه كلام، ولا شيء غير ذلك.

٢: ١٥، ١٦ يوضّـح الآن مدى سـخافة الـكلام الذي لا ترافقه الأعمال، إذ يعرض علينا يعقوب شخصين: أحدهما لا يملـك مـا يكفي من **القـوت اليومي**، ولا مـن اللباس؛ أما الآخر، فالأمران متوافران لديه، لكنه لا يرغب في مشاركة الآخرين فيهما. هذا الأخير، في ادعائه الكرم الجزيل، يقول لأخيه الفقير: "اذهب واكتس ببعض الألبسة، وتناول وجبة شـهية". لكنه لا يرفع، ولا حتى إصبعه الصغرى لجعل هذا الأمر ممكنًا. مـا الفائدة من هذه الكلمات؟ إنها غير مجدية على الإطلاق. فلا هي تشـبع القابلية إلى الطعام، ولا تؤمّن بالمقابل أي دفء **للجسد**.

٢: ١٧ هكذا الإيمان أيضًا إن لم يكن له أعمال ميت في ذاته. إن **إيمانًـا من دون أعمال**، ليس بإيمـان على الإطلاق، بل هو مجرد كلمات. يعقوب لا يقول هنا إننا نخلص بالإيمان بالإضافة إلى الأعمال. إن رأيًا كهذا يتضمّن إهانة للعمل الكامل الذي أنجزه الرب يسـوع المسـيح، فلـو كنا قد خلصنـا بالإيمان بالإضافـة إلى الأعمـال، لوجب عندئذ وجود مخلّصين: يسـوع، ونحن. لكن العهد الجديد يقول بصريح العبارة إن المسـيح وحده هو المخلّص الوحيد. ما يشـدّد عليه يعقوب هو أننا لا نخلص بمجرد إيمان كلامي، بـل بالحري بذلك الصنف من الإيمان الذي ينتج حياة من الأعمـال الصالحـة. بكلمة أخرى ليسـت الأعمال هي جذر الخلاص بل ثمره؛ ليس هي السبب بل النتيجة. وقد عبّر كالفن *Calvin* عن هذا بكل إيجاز، قائلاً: "نحن نخلص بالإيمان وحده، لكن ليس بالإيمان الذي يبقى وحده".

٢: ١٨ لا يمكـن الفصـل بـين الإيمان الحقيقـي والأعمال الصالحـة. ويعقـوب يظهر لنا هذا بعرضـه علينا جزءًا من حديث دار بين رجلـين: الرجل الأول، وقد اختبر الخلاص حقًـا، هو المتكلم؛ أما الآخر، فيدّعي الإيمان، لكنه لا يبرهن هذا الإيمان بواسـطة الأعمال الصالحة. فالأول يعرض أمام الآخـر تحدّيًا مُفحمًا وحاسمًا. وقد نعيد صياغة هذا الحديث على النحو التالي: قد **يقول** الرجل الأول، ولقوله الصحيح ما يسوّغه: "ها أنت تعتبر أن لك إيمانًا، لكن لا أعمال لديك تبرهـن ذلك. وأنا أرى إن هذا الإيمان يجب أن تدعمه حياة من الأعمال. ولا تسـتطيع أن تبرهن لي أن لديك **إيمانًا من دون حياة من الأعمال** الصالحة؛ فالإيمان لا يُرى. إن الطريقة الوحيـدة لكي يعـرف الآخـرون أن لديك إيمانًـا. تكون مـن خلال حياة تبرهـن ذلك. وبالمقابل، أنـا **أريك بأعمالي إيماني**". إن المفتاح لتوضيح معنى هذه الآية يكمن في الفعل **أري**: إنه لمن المستحيل أن نرى إيمانًا بمعزل عن الأعمال.

٢: ١٩، ٢٠ ويسـتمر النقاش. الرجل الأول ما يزال هو المتكلـم. إن ما يدّعيه أحدهم مـن إيمان، قد يقتصر على كونه مجرد موافقة فكرية على حقيقة معروفة جدًا. ومثل هـذا القبول علـى الصعيد الذهني، لا يتطلـب أي التزام شـخصي، كما أنه لا ينتـج منه أي تبديـل في الحياة. لا يكفـي أن نؤمن بوجود الله. إن هذا الأمر ضروري، لكنه غير كاف. فحتى **الشـياطين يؤمنون** أيضًا بوجود الله، كما

أنهم يقشعرّون لمجرد التفكير في ما ينتظرهم عند الله من عقاب عتيد. الشياطين يؤمنون بالحقيقة وبالواقع، لكنهم لا يخضعون لشخص الله. إن هذا الصنف من الإيمان لا يخلّص. عندما يؤمن المرء بالرب حقًّا، فإنه يُخضع له ذاته، روحًا ونفسًا وجسدًا، وهذا الخضوع أو التسليم، يُنتج بدوره حياة متغيّرة. فالإيمان الذي لا ترافقه الأعمال هو مجرد إيمان في الرأس، ومن ثم إيمان ميت.

٢: ٢١ يعرض علينا يعقوب الآن مثالين من العهد القديم عن الإيمان العامل: يتعلّق أحدهما **بإبراهيم** اليهودي، والآخر براحاب الأممية. لقد تبرّر **إبراهيم** بالأعمال إذ قدّم إسحاق ابنه على المذبح. ولرؤية هذه الحقيقة من زاويتها الصحيحة ارجع إلى تكوين ١٥: ٦؛ حيث نقرأ أن إبراهيم آمن بالرب، فحسب له الرب ذلك برًّا. فهنا إبراهيم تبرّر بالإيمان. ثم لا نجد إبراهيم يُقدّم ابنه إلا بعد بلوغنا تكوين ٢٢؛ عند ذاك تبرّر بالأعمال. فما إن آمن إبراهيم بالرب حتى تبرر في نظر الله. لكن نقرأ، بعد سبعة أصحاحات أن الله عاد ليمتحن إيمان إبراهيم. وهكذا برهن إبراهيم صدق إيمانه وصحته من خلال استعداده لتقديم إسحاق. إن طاعته بيّنت أن إيمانه ما كان مجرّد معتقد في الرأس، بل بالحري تسليمًا قلبيًّا.

وقد يعترض أحدهم بالقول إنه لم يكن أي شخص آخر حاضرًا عندما قدّم إبراهيم إسحاق، حتى يبرهن له صحة إيمانه. لكن الغلمان الذين كانوا قد رافقوا إبراهيم، جلسوا في مكان غير بعيد، ينتظرون رجوع إبراهيم وإسحاق من الجبل. إلى ذلك، كان إسحاق حاضرًا هناك. كما أن استعداد إبراهيم لذبح ابنه إطاعة لأمر الله، احتفظ به الكتاب المقدس، إذ دوّنه على صفحاته، مبرهنًا بذلك لجميع الأجيال صحة إيمان إبراهيم وصدقه.

٢: ٢٢، ٢٣ يتّضح لنا إذًا أن إيمان إبراهيم هو الذي ألهمه القيام بأعماله، **وبالأعمال أُكمل الإيمان**. لا يمكن الفصل بين الإيمان الحق والأعمال؛ فالأول ينتج الثاني، كما أن الثاني يبرهن الأول. نرى في تقديم إسحاق برهانًا عمليًا على إيمان إبراهيم. وكان ذلك التتميم العملي **للكتاب** القائل إن **إبراهيم** تبرّر بالإيمان. وهكذا جعلته أعماله الصالحة يُعرف بأنه خليل الله.

٢: ٢٤ نستخلص من هذا إذًا أنه **بالأعمال يتبرّر الإنسان لا بالإيمان وحده**. ومن جديد فهذا لا يعني أنه تبرّر بالإيمان + الأعمال. لقد تبرّر بالإيمان في نظر الله، وبالأعمال في نظر الإنسان. الله برّره لحظة إيمانه. أما الإنسان يقول: "أرني حقيقة إيمانك". وهذا لا يتم إلا من طريق الأعمال الصالحة.

٢: ٢٥ إن الإيضاح الثاني من العهد القديم هو **راحاب الزانية**. إنها، ولاشك، لم تخلُص على أساس الخُلق الحسن (لقد كانت زانية!) بل تبرّرت بالأعمال، إذ **قبلت الرسل** (أو الجواسيس) **وأخرجتهم في طريق آخر**. كانت راحاب كنعانية تعيش في مدينة أريحا. لقد سمعت التقارير المختصّة بجيش ظافر كان يتقدم باتجاه المدينة، لم تنجح أية مقاومة في صده. فاستخلصت أن الله، إله العبرانيين، هو الإله الحقيقي، وهكذا قرّرت أن تنتمي إلى هذا الإله، مهما كلّف الأمر. وعندما دخل الجاسوسان المدينة، صادقتهما، وبفعلها هذا، برهنت صدق إيمانها بالله الحي الحقيقي. لم تخلص بإيوائها الجاسوسين، لكن عمل الضيافة هذا أكد أنها مؤمنة حقيقية.

يسيء بعضهم استخدام هذا النص، فيعلّمون أن الخلاص يحصل جزئيًّا، على أساس الأعمال الصالحة. لكن،

ما يقصدونه بالأعمال الصالحة هو مساعدة الفقراء، ودفع الديون، وقول الحق، والذهاب إلى الكنيسة. فهل هذه كانت الأعمال الصالحة التي قام بها إبراهيم وراحاب؟ بالطبع، لا. فبالنسبة إلى إبراهيم، كان الأمر يتعلّق باستعداده لقتل ابنه؛ أما راحاب؛ فرضيت أن تُحسب خائنة. فإذا نزعت الإيمان عن هذه الأعمال فستظهر أنها شريرة، لا صالحة؛ جرِّدها من عنصر الإيمان، تجدها عندئذ تتعدّى كونها لا أخلاقية وفظة، حتى تصبح خاطئة. لقد صدق ماكنتوش *Mackentosh* في قوله: "يشير هذا النص إلى أعمال حياتية، لا إلى أعمال ناموسية. فإذا ما حذفت من أعمال إبراهيم وراحاب عامل الإيمان، تظهر أنها أعمال شريرة. انظر إليها كثمر للإيمان، فتصبح أعمالاً حياتية". إذًا، لا يمكن الاستناد إلى هذا النص لتعليم أن الخلاص يتم بواسطة الأعمال الصالحة. وإلا، قاد هذا التعليم عن الخلاص من طريق القتل والخيانة، وهو موقع يتعذّر الدفاع عنه.

٢: ٢٦ يختم يعقوب هذا المقطع بالتصريح: «**لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمال ميّت**». فيعقوب يقوم هنا بتلخيص هذه المسألة بشكل رائع، إذ يقارن بين **الإيمان والجسد** البشري؛ كذلك يشبّه **الأعمال بالروح**. فكما أن **الجسد بدون روح هو** خالٍ من الحياة، ولا نفع منه، ولا قيمة له، **هكذا الإيمان أيضًا بدون أعمال ميّت**، غير فعّال، وغير مُجد. إنه بالطبع، إيمان مزيف، وليس إيمانًا حقيقيًّا ومخلصًا.

إذًا، لإيجاز ما سبق، يختبر يعقوب إيماننا من خلال إجاباتنا عن السؤالين التاليين: هل أنا مستعد، على غرار إبراهيم، لأقدِّم لله أعز ما في الحياة؟ وهل أنا مستعد، كراحاب، لأتحول إلى خائن في نظر العالم، حتى أكون أمينًا ووفيًّا لقضية المسيح؟

٦. اللسان: استخدامه وإساءة استخدامه (٣: ١-١٢)

تتناول الأعداد الاثنا عشر الأولى من الفصل الثالث، موضوع اللسان (المذكور أيضًا في ١: ١٩، ٢٦، ٢: ١٢، ٤: ١١، ٥: ١٢). وكما هي الحال قديمًا مع الطبيب الذي كان يفحص اللسان لمساعدته على تشخيص المرض، هكذا أيضًا يعقوب، إذ يمتحن صحة المرء الروحية انطلاقًا من حديثه. فالفحص الذاتي يبدأ بخطايا الكلام. لو كان يعقوب في عصرنا، لوافق على الحكمة القائلة: "انتبه إلى لسانك إنه في مكان رطب حيث يسهل عليه الانزلاق".

٣: ١ يباشر يعقوب بحثه بتحذير من الرغبة في أن يصبح الإنسان، على جناح السرعة، معلِّمًا لكلمة الله. ومع أنه لم يأتِ على ذكر اللسان بشكل محدد، فقد أراد أن يلمِّح إلى أن من يستخدم لسانه لتعليم الكتاب المقدس، تترتب عليه مسؤولية إضافية أمام الله والناس. إن العبارة «**لا تكونوا معلِّمين كثيرين**» قد نعيد صياغتها على الشكل التالي: "لا تكونوا طموحين أكثر من اللزوم لتصيروا معلِّمين". بيد أنه يجب عدم تفسير هذا على أنه منع للذي دعاه الله حقًا إلى التعليم، من استخدام موهبته هذه. إنه تحذير بسيط من الإقدام على هذه الخدمة باستخفاف. فالذين يعلِّمون كلمة الحق، يأخذون دينونة أعظم في حال أخفقوا في ممارسة ما يعلِّمونه.

إن تعليم الكتاب المقدس هو مسؤولية عظمى، لذا ينبغي للمعلِّم أن يكون مستعدًا لإطاعة ما يدركه من الكلمة. فليس باستطاعته البتة أن يأمل في قيادة الآخرين إلى مستوى أعلى من الذي بلغه هو عمليًا. وهكذا يتقرّر مدى تأثيره في الآخرين على أساس مقدار التقدم الذي

أحرزه هو. إن المعلم ينجب آخرين على صورته؛ إنه يكوّنهم على شبهه. فإذا أقدم على التخفيف من وقع أي تعليم كتابي صريح، أو حتى تجنّب ذكره بالتمام، فإنه بذلك يعيق نمو تلاميذه. وفي حال راعى أيَّ شكل من الخطية، فإنه ينشئ قومًا خالية حياتهم من القداسة. لا كتاب آخر نظير العهد الجديد يُلزم قرّاءه هكذا. إنه يدعو إلى تقديم الولاء التام ليسوع المسيح، كما أنه يصرّ على ضرورة جعله ربًّا على كل ناحية من نواحي حياة المؤمن. إذًا فمسألة التعليم من هذا الكتاب هي جدّية كل الجد.

٣: ٢ وفي هذه الآية ينتقل يعقوب من خدمة التعليم المحدَّدة، إلى موضوع الكلام بشكل عام. نحن جميعنا معرّضون لأن **نعثر في أشياء كثيرة**، لكن إن كان باستطاعة أحدنا أن يسيطر على لسانه حتى لا يقترف أيًّا من أصناف خطايا الكلام، فيكون هذا الرجل بذلك حسن الكمال والانضباط الذاتي. إن الإنسان القادر على السيطرة على كلامه، لا يجد صعوبة في ضبط نفسه في نواح أخرى من الحياة أيضًا. وبالطبع، فالرب يسوع هو الشخص الوحيد الذي استطاع تتميم هذه بالكلية، إلا أنه باستطاعة كل واحد منا أن يكون، نسبيًّا، **كاملاً**، أي ناضجًا ومنضبطًا كل الانضباط.

٣: ٣ خمس صور عن اللسان معروضة علينا تباعًا. أولاً، يُشبَّه اللسان **باللجام**. فاللجام هو نهاية الزمام الذي يُربَط به رأس **الخيل**، ويوضع في فمه للتحكّم به. ومع أن ما يُجعل في فم الحصان ليس سوى قطعة فولاذية صغيرة، فإذا تمكن الإنسان من السيطرة على هذه القطعة، يكون بذلك قد تحكّم في تصرف الحصان. وهكذا أيضًا اللسان الذي باستطاعته توجيه الحياة إلى الخير أو إلى الشر.

٣: ٤ تتعلّق الصورة الثانية **بدفّة** السفينة. فبالمقارنة مع السفينة نفسها، تبدو **الدفة صغيرة جدًّا** فهي لا تزن سوى جزء بسيط من وزن السفينة. مثلاً كانت السفينة "الملكة اليزابيث" تزن ٨٣٦٧٣ طنًا بشكل إجمالي، فيما دفة هذه السفينة لم تكن تزن سوى ١٤٠ طنًا فقط، أي ما يقل عن عُشري واحد بالمئة من المجموع العام. ومع هذا، فإن الدفة هي التي تدير السفينة نفسها في الاتجاه المطلوب. إنه لأمر يصعب تصديقه أن يتمكن الإنسان من السيطرة على مركبة كبيرة جدًّا بواسطة أداة صغيرة كهذه. لكن هذا ما يحصل تمامًا. من هنا يجب ألا نخطئ في حكمنا على قدرة اللسان، انطلاقًا من حجمه. فمع كونه عضوًا صغيرًا في الجسد، ومخفيًا بشكل نسبي، فإنه يستطيع التفاخر بإنجازات عظيمة، سواء كانت صالحة، أم شريرة.

٣: ٥، ٦ إن تشبيهًا ثالثًا للسان هو **النار**. فرمي عود ثقاب مشتعل ينتج حريقًا قد يصل إلى حد إضرام غابة كبيرة، مخلفًا كتلة من الرماد. إذًا كم من حالات هائلة من الخراب والدمار يخفيها وراءه عود ثقاب واحد! إن حريق "شيكاجو" الذي اندلع عام ١٨٧١ يشكّل إحدى الكوارث التاريخية، وتقول المستندات إنه بدأ عندما قامت بقرة السيدة أوليري *O'Leary* برفس المصباح. وسواء صحّ هذا القول، أم لم يصح، فقد ظلّت النيران تستعر على مدى ثلاثة أيام لكي تلتهم مساحة من المدينة تُقدَّر بنحو ستة كيلو مترات مربعة. وهكذا قضت على ٢٥٠ شخصًا، وشرّدت ١٠٠,٠٠٠ آخرين، وخرّبت ممتلكات يُقدَّر ثمنها بنحو ١٧٥,٠٠٠,٠٠٠دولار أميركي. فاللسان يشبه عود ثقاب صغيرًا مشتعلاً، أو مصباحًا مشتعلاً سقط من مكانه، وما يمكن أن يصدر

عنه من شرور يكاد يكون غير محدود. يذكر يعقوب عن اللسان أنه **عالم الإثم**... **في أعضائنا**. إن الكلمة "عالم" تعبِّر هنا عن وسع المدى، وهي تُستخدَم أحيانًا بهذا المعنى، كقولنا مثلاً: عالم من الضيقات، وما نعنيه: قدر هائل من الضيقات. إن اللسان، على الرغم من صغره، قد تنتج منه شرور جمّة.

يتّضح لنا من الحوار الذي دار بين امرأتين في بروكلين *Brooklyn* طريقة انتشار شرارة الكلام الشريرة؛ قالت إحداهما: "أعلمتني تلي أنّك أفشيت لها السر الذي كنت قد طلبت منك ألاّ تنقليه إليها". فردّت عليها الأخرى بالقول: "يا لها من امرأة حقيرة، فقد طلبت من تلي ألاّ تخبرك بما قلته لها". فأجابتها المرأة الأولى: "وعدت تلي بألاّ أنقل إليك ما قالته لي، لذا أُفضِّل ألاّ تخبريها أني فعلت ذلك".

باستطاعته **اللسان** أن **يدنّس الجسم كله**؛ فالإنسان قد يُفسد شخصيّته بأكملها عندما يستخدم لسانه للتفوه بكلام يسيء فيه إلى سمعة الآخرين، أو بكلام كذب، أو بتجديف أو بحلفان.

يكتب شابل *Chappel* ما يلي:

> إن الكثير الانتقاد للناس يضرّ نفسه... لا يستطيع قاذف الوحل ممارسة هوايته المفضّلة من دون تأثره هو أيضًا بشيء من هذا الوحل يلطخ به يديه وقلبه. كم مرة شعرنا بأننا تدنّسنا على أثر اختيار هذا النوع، ولحن لم نكن نقصد ذلك على الإطلاق؟ كنا نرجو عبثًا تعزيز تقديرنا الشخصي لقيمتنا الذاتية من طريق قذف الآخرين بالوحل. ولم نكن نشعر بأننا أغبياء عندما كنا نعتقد أنه بوسعنا بنيان كياننا مقابل هدم كيان الآخرين. لقد تصرّفنا بعمى واضح، إذ تخيلنا أنه بوضعنا عبوة ناسفة تحت بيت جارنا، نستطيع أن نرسخ أساساتنا؛ لكن هذا ما لا يحصل أبدًا، فقد ننجح في محاولاتنا إلحاق الأذية بالآخرين، إلاّ أن الضرر الكبير يكون دائمًا من نصيبنا.

اللسان **يُضرِم دائرة** (عجلة) **الكون**. إنها العجلة التي تبدأ في دورانها عند الولادة، وتشتمل على النشاط البشري ككل. فاللسان الشرير لا يلوّث حياة الإنسان الشخصية فحسب، بل يفسد نشاطاته جميعها أيضًا. إنه يتناول بتأثيره الرديء "الشر كله عند الإنسان كله على مدى الحياة كلها". إن اللسان الشرير **يُضرَم من جهنم**، حيث أصل كل الكلام البذيء؛ "**جهنم**" المستخدمة هنا، لم يأتِ على ذكرها أحد آخر سوى الرب يسوع في العهد الجديد.

٣: ٧ إن الصورة الرابعة التي يشبِّه بها يعقوب اللسان، تتعلّق بحيوان متوحش لا يروّض. فمن الممكن ترويض مختلف أنواع الحيوانات، والطيور، والزحافات، والكائنات البحرية. وإنه ليس بالأمر المستغرب رؤية حيوانات مروّضة من أصناف الفيلة، والأسود، والنمور، والجوارح، والحيّات، والدلفن وحتى السمك أيضًا. يذكر بليني *Pliny* من جملة الحيوانات التي جرى ترويضها في أيامه: الفيلة والأسود والنمور بين الوحوش، والنسور بين الطيور، والأفاعي وحيات أخرى، والتماسيح وأصناف شتّى من السمك من جملة الكائنات البحرية. فالذي يقول إنه لم يتم بعد ترويض جميع أصناف المخلوقات، يخطئ في الواقع عن إدراك القصد من كلام يعقوب. ولا سبب يدعونا إلى الاعتقاد أن الإنسان عاجز عن ترويض كل الكائنات، شرط المثابرة على ذلك لوقت طويل.

عبر ر.ج.لي *R.G.Lee* عن هذا، بشكل رائع، بقوله:

ماذا فعل الإنسان بالفيلة الضخمة؟ لقد غزا بيوتها في الأدغال، وأوقعها في شَرَكه، ودرَّب العديد منها على حمل الأخشاب، وعلى جَرّ عربات مُحمَّلة بضائع ثقيلة، وفي مجالات أخرى أيضًا. وماذا فعل الإنسان بالعديد من نمور البنغال ذات العيون الخضراء؟ لقد اصطادها في شَرَكه، وعلَّمها، وجعلها من رفقاء اللعب عنده. وماذا فعل الإنسان بأسود أفريقيا القوية، المتوحشة والشرسة؟ لقد سيطر عليها، ودرَّبها على القفز عبر طوق من نار، وعلى الركوب على الحصان، والجلوس على منصات عالية، وألاَّ تلتهم، حتى لو كانت جائعة، قطعًا من اللحم جُعلت بين مخالبها، كما درَّبها على النوم، والوقوف، والركض، وعلى أن تزأر لدى سماعها صوته، أو الصوت الحاد الذي يطلقه السوط. قبل عدة سنوات، عندما زرت السيرك تساءلت كثيرًا عن السبب الذي جعل الأسد يفتح فمه السحيق والنهم على مصراعيه، ويبقيه هكذا، حتى أقدم أحد الرجال، وهو مدرّبه، على إدخال رأسه عمق فم الأسد وإبقائه فيه مدة دقيقة كاملة. ماذا فعل الإنسان بحيّة البوا الضخمة والملتفَّة؟ وبالثعبان العظيم؟ يكفي أن تعرّج على السيرك لتشاهد فيه نُسيّات رقيقات كالزهور، لا يأبهن لهذه التنانين المريعة فيسمحن لها بأن تلتف حول أجسادهنَّ النحيلة. أقصد معرض الحيوانات لترى كيف تمكَّن الإنسان من جعل النمر المرقَّط *Leopard*، والفهد الأمريكي *Jaguar* المتعطش إلى الدماء صامتين وغير مؤذيين. هناك تأمَّل أيضًا في ابن آوي الجائع الجالس مع الحمل الوديع، وانظر إلى عش اليمامة الواقع على مقربة من عش النسر، كما تأمل في الذئب يمرح مع الأرنب.

٣: ٨ لكن نجاح الإنسان في تطبيع الحيوانات البرية، لا يمتد لكي يشمل أمر لسانه أيضًا. فإن كنا مخلصين، سنعترف حتمًا بأن هذه الحقيقة تنطبق على كل واحد منا. فقد فقدنا، من جرّاء السقوط، السيطرة على هذه القطعة الصغيرة من اللحم. إن الطبيعة البشرية لا تملك المهارة أو القدرة على التحكم بهذا العضو الصغير؛ لكن الله يستطيع وحده أن يضبطه.

من ثمَّ، يذكر يعقوب بشأن اللسان أنه **شر لا يُضبط**. وإذا ما ربطنا هذه العبارة بالكلمات «**مملوٌّ سمًّا مميتًا**» فإننا نجد أنه ربما تبادرت إلى ذهن يعقوب صورة الحية التي لا تهدأ، وسمها القتَّال، إذ أن نقطة أو نقطتين منه كفيلتان بالقضاء على الضحية. هكذا أيضًا باستطاعة اللسان تسميم الأذهان وقتل الخُلق. كلنا نعرف ما أسهل الثرثرة على الآخرين. كم مرة لجأنا إلى الطعن في الآخرين بقصد الانتقام لإساءات مزعومة! كما أننا ومن دون أي سبب على الإطلاق، غالبًا ما نقوم بتحقير الآخرين، وانتقادهم والحط من شأنهم. من يستطيع أن يقيس الإساءات التي خلفناها وراءنا، وسيل الدموع، والقلوب الكسيرة، وكم من شخص شوَّهنا صيته وسمعته؟ ومن يستطيع أن يقيس الشقاء الذي جلبناه على نفوسنا، وعلى عائلاتنا؟ هذا بالإضافة إلى المرارة الداخلية، والعار الذي يرافق الاعتذار، والتأثيرات السلبية في صحتنا. إن الأهل الذين استرسلوا جهارًا في عملية انتقاد إخوتهم المؤمنين، كان عليهم أن يروا أولادهم يتبنون روح الانتقاد هذا، ثم ينقطعون عن الشركة المسيحية. لذا، يترتب ثمن هائل على عملية استخدام اللسان بشكل غير منضبط.

فما هو العلاج؟ لنطلب يوميًا من الرب أن يحفظنا

مـن الثرثرة، والانتقاد، والـكلام غير اللطيف. لا نطعن بأحـد. «المحبة تستر كثرة من الخطايـا» (١بط٤: ٨). إن كان عندنا أي شـيء على شخص آخر فلنذهب إليه مباشرة، ونبحث الأمر معه بمحبة، ونُصَلِّ معًا (مت١٨: ١٥؛ لو١٧: ٣). ولنحاول أن نرى المسيح في إخوتنا، عوضًـا عن التركيز على هفواتهـم. وإذا بدأنا بذكر أي شـيء فظ أو غير نافع، فنتوقَّف عـن الكلام في منتصف الجملة، ولنوضح أن استمرارنا على هذا النحو لن يكون للبنيان. إذًا، فثمة بعض الأشياء يُفضَّل عدم التفوه بها.

٣: ٩، ١٠ إنه لعدم انسـجام مع أنفسـنا أن نستخدم ألسنتنا لأغراض صالحة وشريرة في آن. فهذا الأمر غير طبيعـي على الإطـلاق، إذ لا مثيل لـه في الطبيعة. ففي دقيقة **يبارك** الإنسان الله بلسانه، وفي الدقيقة التالية **يلعن الناس الذين تكوَّنوا على شبه الله**. يا لعدم الانسجام أن يصدر عن ينبوع واحد مثل هـذه النتائج المتناقضة! إن وضعًا كهذا يجب ألا يحصل. فاللسـان الذي يبارك الله، ينبغي له أن يسـاعد النـاس، لا أن يجرّحهـم. علينا أن نخضع كل ما نتفوه به للامتحـان الثلاثي التالي: هل هو حق؟ هل هو لطيف؟ هل هو ضروري؟ إننا نحتاج إلى أن نطلب من الرب باسـتمرار أن يحرس أفواهنا (مز١٤١: ٣)، وأن نتضـرع إلى الله لكـي تكـون أقـوال أفواهنا وأفـكار قلوبنـا مرضية أمـام الرب الذي هـو صخرتنا ووليـنا (مـز١٩: ١٤). علينا أن نتذكَّـر أن أعضاءنا، بحسب رومية ١٢: ١، تشتمل أيضًا على ألسنتنا.

٣: ١١ لا يمكن أن يُعطي **ينبوع** مياهًا عذبة ومُرَّة في آن واحد؛ وهذا لا يجوز أيضًا بالنسبة إلى اللسان، إذ على تدقّقه أن يستمر متناغمًا.

٣: ١٢ وكما أن المـاء الوارد من النبع يعني الانتعاش، هكـذا أيضًا ثمر شـجرة التـين يعني الغـذاء. لا تقدر **التينـة** على صنع **زيتون**، أو **الكرمة تينًا**. ففي الطبيعة، لا تنتج الشجرة سـوى صنف واحد من الثمر، كيف إذًا بإمكان اللسـان أن ينتج صنفين مـن الثمر: ما هو صالح، وما هو شرير؟

يجب عدم الخلط بين هذا النص، ونص آخر مشـابه في متـى ٧: ١٦-٢٠. فهناك يطالعنا تحذير من توقع أي ثمر صالح من الشـجر الرديء، لأنه ليس بإمكان الأشرار سـوى إنتاج أعمال شـريرة. أمـا هنا، فلنـا تحذير من استخدام اللسان لإنتاج صنفين متضادين من الثمر.

لا يوجـد أي **ينبوع** يصنع ماء **مالحًـا وعذبًا** في آن. فإمَّـا هـذا الصنف من المـاء، وإمَّا ذلـك. إن القصد مـن هذه الـدروس المأخوذة من الطبيعـة، هو تذكيرنا بضرورة أن يبقى كلامنا صالحًا على الدوام.

إذًا، يعقوب يضعنا أمام امتحان في ما يتعلق بكلامنا. قبل تركنا هذا القسـم من الرسـالة، دعونا نطرح على نفوسنا الأسئلة التالية: هل أُعلِّم الآخرين أمورًا لم أُطعها أنا؟ هل أنتقد الآخرين في غيابهم؟ هل يبقى حديثي نقيًّا ولطيفًا، يبني الآخرين؟ هل أسـتخدم عبارات لها علاقة بالحلفـان، كقولنا مثـلاً "أمام الرب" أو ما شـابه؟ بعد اجتماع يغلـب عليه طابع الجدِّية، هـل أتفوه بكلمات رخيصة وأتحـدث عن نتائج مباريات كـرة القدم مثلاً؟ هل أتلاعب بألفـاظ الكتاب المقدس؟ عندما أنقل وقائع قصة، هل أبالغ في سـردها كي أترك انطباعًا حسنًا عند السامعين؟ هل اعتدت قول الحق، ولو أدَّى ذلك إلى أن أخسر اعتبارًا معينًا، أو أصدقاءً، أو أموالاً؟

٧ـ الحكمة: الحقيقية والزائفة (٣: ١٣-١٨)

يبحث يعقوب، في هذه الآيات، الفرق بين الحكمة الحقيقية والحكمة الكاذبة. وعندما يتكلّم عن الحكمة، لا يقصد بذلك مقدار ما عند الإنسان من معرفة، بل كيف يعيش من يوم إلى يوم. ليس حيازة المعرفة هو المهم، بل تطبيقها الصحيح. ولنا في ذلك صورة الرجل الحكيم حقًّا. ففي الواقع، هذا الرجل هو الرب يسوع؛ إنه الحكمة المجسّدة (مت١١: ١٩؛ ١كو١: ٣٠). ولكن الإنسان الحكيم أيضًا هو الذي يُظهر حياة المسيح، ويُنتج ثمر الروح (غل٥: ٢٢، ٢٣). كما لدينا صورة الرجل صاحب الحكمة العالمية؛ إنه يتصرّف بموجب مبادئ هذا العالم، فيجسّم جميع الصفات التي يُعظّمها الناس، ولا يدل سلوكه البتة على حياة سماوية مقدسة في الداخل.

٣: ١٣ إن كان إنسانًا **حكيمًا وعالمًا**، فسوف يبرهن ذلك بالتصرف الحسن مع الروح الوديع الناتج من **الحكمة**. والرب يسوع، تجسيد الحكمة الحق، ما كان متكبّرًا أو متشامخًا، بل كان وديعًا ومتواضع القلب (مت١١: ٢٩). إذًا، التواضع الحقيقي هو العلامة المميّزة لجميع الحكماء فعلاً.

٣: ١٤ يتميز صاحب الحكمة العالمية **بالغيرة المُرّة** وبالطموح الأناني في قلبه. فمشتهاه الأوحد في الحياة هو تعزيز مصالحه الشخصية. إنه يغار من المنافسين، وهو فظّ في التعامل معهم. كما أنه فخور بحكمته التي جلبت له النجاح. لكن يعقوب يقول إن هذا كله لا يشكل أيّة حكمة على الإطلاق، وإن افتخارًا كهذا هو باطل، وهو في الواقع إنكار للحق القائل إن الإنسان الحكيم حقًّا هو الإنسان المتواضع حقًّا.

٣: ١٥ حتى في مجال الخدمة المسيحية قد يغار المرء غيرة مُرّة من الخدّام الآخرين، وهكذا يطلب لنفسه مقامًا رفيعًا بارزًا. هناك دائمًا خطر بأن يُمنح أصحاب الحكمة العالمية مراكز قيادية في الكنيسة. فعلينا أن نحترز باستمرار من السماح للمبادئ العالمية بأن تهدينا في المسائل الروحية. ويعقوب يصف هذه الحكمة الكاذبة **بالأرضية والنفسانية والشيطانية**. إن هذه النعوت تتضمن انحدارًا متواليًا. فهي أرضية بمعنى أن هذه الحكمة لا تأتي من السماء، بل من هذه الأرض؛ وهي **نفسانية**، أي أنها ليست من ثمر الروح القدس، بل ناتجة من طبيعة الإنسان الساقطة؛ وهي **شيطانية** بمعنى أنها تنحدر لتقوم بأعمال تشبه تصرفات الشياطين أكثر منها تصرفات البشر.

٣: ١٦ حيثما وجدت **الغيرة والتحزب**، فستجد أيضًا التشويش وعدم الانسجام بالإضافة إلى كل أمر رديء آخر. كم هذا صحيح! فكّر في ما يتخبط فيه عالمنا الحاضر من اضطراب وبلبلة، وكل هذا لأن الناس يرفضون الحكمة الحق، لكي يتصرفوا على أساس مهارتهم المزعومة.

٣: ١٧ إن **الحكمة التي تأتي من الله هي أولاً طاهرة**. إنها نقية بالفكر والقول والعمل. كما أنه لا يشوبها أي دنس في الروح والجسد، وفي العقيدة والممارسة، وفي الإيمان والأخلاق. إنها أيضًا **مُسالمة**؛ وهذا يعني ببساطة أن الإنسان الحكيم يحب السلام، وهو يعمل كل ما في وسعه للمحافظة على السلام من دون أن يضحي بالنقاوة. وهذا ما توضّحه لنا القصة التي رواها لوثر *Luther* عن التيسين اللّذين التقيا على جسر ضيق فوق مياه عميقة. ما كان بوسعهما الرجوع ولا كانا يتجرأن على العراك. وبعد تفاوض قليل، تمدد أحدهما على الأرض، سامحًا بذلك

للآخر بأن يجتاز فوقه. والعبرة من ذلك، كما قال لوثر، هي سهلة: "ارتضِ بأن يُداس على شخصك من أجل السلام؛ قُلتُ على شخصك، لا على ضميرك". إن الحكمة الحق هي **مترفّقة**. إنها صبورة، لا متغطرسة أو مستبدة؛ لطيفة لا فظّة. إن الإنسان الحكيم هو لطيف، ويراعي مشاعر الآخرين. كتب أ.ب.سمبسون *A.B.Simpson* قائلاً: "ليس ثمة ما هو مشترك بين الأسلوب الفظ والتهكّمي والجواب الجارح والانتقاد العنيف، وبين التعليم الوديع الذي مصدره المُعزّي".

إن الميزة التالية هي أنها **مُذعنة**. وهذا يعني أنها قابلة للاسترضاء ومن الممكن التقرّب منها، وهي منفتحة أمام المنطق، ومستعدّة للتراجع عن رأيها عندما يفرض عليها الحق ذلك. إنها نقيض العناد والتصلّب. فالحكمة التي من فوق هي **مملّوة رحمة وأثمارًا صالحة**. أنها **مملوّة رحمة** مع الذين هم على خطإٍ، ومهتمة بمساعدتهم على الاهتداء إلى السبل القويمة. إنها حنون ولطيفة؛ لا تراعي أي شعور بالانتقام، بل تُقابل الفظاظة بالخير والصلاح. إنها **عديمة الريب**، أي أنها خالية من التحيز. كما أنها لا تُحابي في تعاملها مع الآخرين. وأخيرًا، إن الحكمة الحق هي **عديمة الرياء**. فهي مخلصة وحقيقية، ولا تدّعي غير ما هي عليه فعلاً.

والآن، لنستجمع كل هذه الأفكار حتى تتوضّح الصورة المناسبة عن كل واحد من هذين الرجلين: الرجل الحكيم حقًا، والرجل صاحب الحكمة الكاذبة. إن الرجل الحكيم حقًّا هو متواضع فعلاً، يحسب الآخرين أفضل منه، وهو غير مدّع، بل يعمل على راحة الآخرين. سلوكه يختلف عن سلوك العالم من حوله، إذ لا يأتي تصرفه من وحي هذا العالم؛ كما أنه لا يعيش لأجل الجسد، بل لأجل الروح؛ وهو، بكلامه وأفعاله، يحملك على التفكير في الرب يسوع؛ حياته هي نقية وطاهرة، وهو نظيف على الصعيدين الأدبي والروحي. إلى ذلك، فهو مسالم؛ كما أنه مستعد ليحمل الإهانة والاتهام الكاذب من دون أن يشن هجومًا مضادًا أو يحاول تبرير نفسه. إنه لطيف ورقيق القلب، ويتصرف بنعومة. كما أنه من السهل التفاهم معه، إذ هو مستعد لمحاولة تفهّم وجهة نظر الفريق الآخر؛ لا يراعي أيّ شعور بالانتقام، بل هو دائمًا مستعد لمسامحة الذين أساءوا إليه. ولا يقف عند هذا الحد، إذ اعتاد أن يُظهر لطفًا للآخرين، ولا سيما من نحو أولئك الذين لا يستحقون ذلك. إنه هو هو مع الجميع، لا يحابي بالوجوه، يعامل الأغنياء معاملته للفقراء، كما أنه لا يفضّل العظماء على عامة الشعب. أخيرًا، إنه ليس مرائيًا. فهو لا يقول شيئًا ويضمر شيئًا آخر، ولن تسمعه يتملق أحدًا. إنه يقول الحق، ولا يضع على وجهه أي قناع.

أمّا الرجل صاحب الحكمة العالمية، فليس كذلك. إن قلبه مملوء حسدًا ونزاعًا. وهو، في عزمه على إغناء نفسه، يصبح غير متساهل مع كل ندّ أو منافس. كما أن تصرفه يخلو من أي نبل؛ ولا يسمو أعلى من هذه الأرض، بل يعيش لإشباع ميوله الطبيعية، تمامًا كما هي حال الحيوانات. إنه متوحش ومخادع وشيطاني في أساليبه، يخبئ حياة نجسة تحت ثوبه المكوي جيدًا. أفكاره ملوّثة، وأخلاقه منحطّة، وكلامه بذيء. إنه يخاصم كل من يخالفه الرأي أو يناقضه في أي شيء. وهو أبدًا منازع سواء في البيت، أم في العمل، أم في الحياة الاجتماعية. إنه فظّ ومتغطرس، قاس وعنيف في طرقه. ليس سهلاً على الناس التقرّب منه، إذ هو يفرض عليهم أن يبقوا بعيدين. إن احتمال التفاهم معه بهدوء، ليس سوى ضرب من

المستحيل، معتبرًا أنه سبق له أن اتخذ قراره، وأن أفكاره غير قابلة للتغير. إنه غير غفور، لا بل منتقم. وعندما يسجل على أحد ما خطأ أو زلة، فإنه لا يظهر أية رحمة، بل يطلق العنان لوابل من التصرف السيئ غير اللطيف والدنيء. إنه يقدّر الناس بحسب الفائدة التي يجنيها منهم؛ وعندما لا يعود باستطاعته استغلالهم، ويفقد كل أمل في الانتفاع من معرفته بهم، فإنه لا يعود يعيرهم أي اهتمام. أخيرًا، إنه ذو وجهين، وغير مخلص. لا يمكنك الوثوق به البتة، لا لجهة كلامه ولا لجهة أعماله.

٣: ١٨ يختتم يعقوب الفصل بالعبارة: «**وثمر البر يُزرَع في السلام من الذين يفعلون السلام**». إن هذه الآية تشكّل جملة انتقالية ترتبط بين ما سبق ذكره وما سيتبع. لقد تعلّمنا لتوّنا أن الحكمة الحق تحب السلام. وفي الأصحاح التالي، يطالعنا نزاع دائر بين شعب الله. وفيه يتمّ تذكيرنا بأن الحياة هي أشبه بعملية الزرع والفلاحة، مستخدمًا لذلك الفلاح (الرجل الحكيم صانع السلام) والمناخ (السلام) والغلة (البرّ) إن الفلاح يرغب في الحصول على غلة من البر؛ لكن هل يمكن أن يتم ذلك في جو من الخصام والتشاحن؟ كلا، فالزرع يجب أن يحدث في أوضاع يُخيّم عليها السلام، وينبغي له أن يتم بواسطة أناس يميلون إلى السلام؛ وعلى هذا الأساس، ينتج حصاد من الاستقامة في حياتهم الشخصية، كما في حياة من يخدمون.

من جديد، عاد يعقوب ليضع إيماننا على المحك. وهذه المرة بشأن صنف الحكمة الذي تظهر في حياتنا اليومية. يلزمنا أن نسأل نفوسنا: هل أحترم الناس المتعجرفين في هذا العالم أكثر من الرجل الوديع الذي يؤمن بالرب يسوع؟ وهل أخدم الرب غير آبه لمن يعود الفضل في ذلك؟ وهل أستخدم أحيانًا أساليب مشبوهة بغية الحصول على نتائج مُرضية؟ وهل أنا مذنب، إذ أتملق حتى أؤثّر في الآخرين؟ وهل أراعي غيرة أو مرارة في قلبي؟ وهل ألجأ إلى التهكّم وإلى التعليقات غير اللطيفة؟ وهل أنا طاهر بالفكر، والكلام، والآداب؟

٨ـ الشهوة. مسبّبها وعلاجها (ص٤)

لقد أشار يعقوب سابقًا إلى أن الرجل الحكيم هو الذي يحب السلام؛ وها هو الآن يتذكّر النزاع المأساوي الذي غالبًا ما يتواجد بين صفوف شعب الله. فما سبب هذا كله؟ لماذا ثمة العديد من البيوت غير السعيدة، العديد من الكنائس التي تمزقها الشقاقات؟ كي نُفسّر واقع العداوات المرّة القائم في أوساط بعض الخدّام المسيحيّين المحليّين، وتلك النزاعات بين المرسلين في بلاد الخارج؟ السبب هو أننا نجتهد، بلا انقطاع، لإشباع نهمنا إلى الملذات وإلى المقتنيات، وللتفوّق على الآخرين.

٤: ١، ٢أ الواقع المحزن هو أن **ثمة حروبًا وخصومات** بين المسيحيّين. فالقول إن هذا المقطع لا ينطبق على المؤمنين هو قول غير واقعي، أضف إلى أنه يجرّد هذا المقطع من أيّة قيمة لنا. ما الذي يُسبّب كل هذه الخصومات؟ إنها تصدر عن **لذّاتنا** العنيفة في دواخلنا، والتي نسعى جاهدين باستمرار لأجل إشباعها. فثمة لذّة ادّخار المقتنيات المادية. ثمة أيضًا الميل إلى الحصول على المقام وعلى النفوذ. هذا بالإضافة إلى الرغبة القوية في إشباع الاشتهاءات الجسديّة. إن هذه القوى الجبارة تتفاعل في دواخلنا؛ وعليه، لا نشعر البتة بالاكتفاء، بل نطلب دائمًا المزيد. ومع هذا، يبدو أنه تلازمنا باستمرار خيبة أمل من جهة الحصول على ما نريد. وهذا الشوق غير المُتمّم يُصبح جارفًا، الأمر

الـذي يدفعنا إلى الـدوس على الذين يبـدون لنا أنهم يعيقون أمر تقدّمنا. يقول يعقوب: «**تقتلون**». إنه، إلى حد كبير، يستخدم هذه الكلمة بالمعنى المجازي. فنحن لا نقتل فعلاً، لكن ما يتولد عندنا من مشـاعر الغضب والحسد والشراسة تشكّل قتلاً في حالته الجنينيّة.

٤: ٢ب، ٣ تشتهون ولستم تمتلكون. نريد أن يكون لدينا أشـياء أكثر من غيرنا وأفضل منهم. وفي محاولتنا هذه، نجد أننا نخاصم بعضنا بعضًا، ويبتلع أحدنا الآخر.

حنا وحنة تزوّجا لتوهما. فالزوج موظف في شـركة حسنة وبمرتب معتدل. والزوجة تريد بيتًا يوازي في قيمته بيوت سـائر الأزواج الشـباب في الكنيسـة. وبالمقابل، يرغب الزوج في اقتناء سـيارة من الطـراز الحديث، فيما الزوجـة تطلب أن يتم تزويد البيـت بأثاث أنيق وبمعدات رفيعة الشـأن. إن بعضًا من هذه الأشـياء يجب شـراؤها بالتقسـيط، ومرتـب حنـا لا يـكاد يكفـي لتحّمل هذا الضغط. ثم يولد طفل في هذه العائلة، وتولد معه تكاليف إضافيـة، وميزانية مضطربة، وسـوء في الحالة المادية. وإذ تـزداد متطلبات الزوجة، يتصلب الزوج ويصبح سـريع الغضـب. فترد عليه الزوجة بأسـلوب البـكاء، وأحيانًا بالكلام الجارح. وهكذا، سـرعان ما ترتج حيطان البيت بفعل النيران التي تُطلَق من مختلف الجهات. إذًا، فالأحوال المادية هي في معرض هدم هذا البيت.

ومـن جهة أخـرى، قد يكـون لـدى الزوجة غيرة وحسد. فهي تشـعر بأن لنبيل وسناء مركزًا في الكنيسة أكثر بروزًا من ذلك الذي لها ولزوجها. وهكذا، سرعان مـا تتفوّه أمام سـناء بملاحظـات تثير الشـكوك. وفيما المعركة بينهما تعنف وتسـتعر، يتورّط كل من حنا ونبيل فيها أيضًا؛ ثم يختار كل واحد في الكنيسـة إلى جانب من يقف، فتنشق بذلك الجماعة. لقد حصل هذا كله بسبب شهوة شخص واحد، وميله إلى التفوق على الآخرين.

هنا إذًا يكمن أصل التشاحن والنزاع بين المؤمنين. كل هـذا مـردّه إلى الرغبـة في الحصول علـى المزيد، والغيرة مـن الآخريـن، مُدّعين أننا "نحـن نحافظ على المسـتوى اللائق"، لكن حري بنا، في الواقع، أن ندعو ذلك طمعًا واشـتهاء وغيرة. فالرغبـة تعنف وتصبح جامحة، الأمر الذي يدفع الناس إلى القيام بأي شيء بغية إشباع شهواتهم. إنهم بطيئون من جهة تعلم أن اللذة الحقيقية لا تكون بهذا الأسلوب، بل بالحري بالاكتفاء بما عند المرء من مأكل ومن ملبس (١تي٦: ٨).

أمّا الصلاة، فهي الأسـلوب الصحيح لمعالجة هذه المعضلـة. "لا تحاجـج، لا تحارب، بل صـلّ". يقول يعقوب: «**لسـتم تمتلكون لأنكم لا تطلبون**». إننا نحاول نوال ما نرغب بمجهوداتنا الشخصية عوضًا عن طلب هذه الأمور من الرب بالصلاة. فإن كنا نبغي شيئًا غير متوافر لدينا، ينبغي لنا أن نسـأل الله بشـأنه. وإن كنا نطلب ولا نحصل على اسـتجابة، فهذا يعني ببساطة أن دوافعنـا لم تكن نقيـة، إذ إن رغبتنا في الامتلاك لم تكن بقصد تمجيد الله، أو لأجل خـير الآخرين، بل أردناها في سـبيل اسـتمتاعنا الأناني بها. لقد أردناها لإشباع ميولنا الطبيعية، والله لا يعد باستجابة صلوات كهذه.

يا لعمق الدرس الـذي نتعلّمه في علم النفس من هذه الأعداد الثلاثة الأولى! فلـو كان الناس يكتفون بما أجزله عليهم الله، لجنّبوا أنفسهم كل صراع واضطراب مربكين! ولو أحببنـا قريبنا كأنفسـنا واهتممنا بالعطـاء، أكثر من اهتمامنـا بالأخذ، فما أروع السـلام الـذي ينتج إذ ذاك.

ولو عملنا بأمر المخلِّص من جهة ترك الكل والتخلِّي عنه عوضًا عن الادِّخار، وتكديس كنوز في السماء، لا على الأرض، فكم من نزاعات ستبطل!

٤: ٤ يعقوب يحكم على المحبة غير السليمة للأمور المادية، معتبرًا أنها زنى روحي. فالله يريد لنا أن نحبَّه أولاً، وقبل أي شخص أو شيء آخر. وعندما نحب الأمور الزائلة في هذا العالم، فإننا نكون بذلك غير أمناء له.

إن الطمع هو شكل من أشكال عبادة الأوثان. وهذا يعني أننا نطلب بشدة ما لا يريد لنا الله أن نحصل عليه. كما يعني أننا نصبنا أصنامًا داخل قلوبنا. وهكذا نُقدِّر الأشياء المادية فوق إرادة الله. إذًا، الطمع يشكل عبادة أوثان، وعبادة الأوثان هي خيانة للرب على الصعيد الروحي.

إن محبة العالم هي أيضًا عداوة لله. العالم المقصود هنا ليس هو الكوكب حيث نعيش، ولا عالم الطبيعة المحيط بنا. إنه النظام الذي أوجده الإنسان لنفسه، ساعيًا في أثر إشباع شهوة العيون، وشهوة الجسد، وتعظم المعيشة. ففي هذا النظام، لا مكان لله ولا لابنه. قد يكون هذا عالم الفن، أو الثقافة، أو التربية، أو العلوم، أو حتى الدين؛ وبالإجمال فهو دائرة حيث اسم المسيح غير مُرحَّب به أو ربما ممنوع، إلا طبعًا كمجرَّد مظهر خارجي فارغ. إنه، باختصار، عالم الناس خارج نطاق الكنيسة الحق. فإذا أحب أحدنا هذا النظام، أو إذا صادقه، كما أوردت بعض الترجمات، فإنه يُصبح بذلك عدوًا لله، لأن هذا العالم هو الذي صلب رب الحياة والمجد. إن العالم الديني، في الواقع، هو الذي قام بالدور الرئيسي في عملية قتل الرب. فكم هو مستهجَن أن يرغب المؤمنون أبدًا، في أي زمان ومكان، في السير يدًا بيد مع العالم الذي قتل مخلِّصهم!

٤: ٥ يشكِّل العدد الخامس واحدًا من أصعب الآيات في هذه الرسالة: «**أم تظنون أن الكتاب يقول باطلاً: الروح الذي حل فينا يشتاق إلى الحسد؟**».

الصعوبة الأولى هي أن يعقوب يبدو عليه وكأنه يقتبس من العهد القديم، غير أن هذه الكلمات لم ترِد قطّ في أي مكان من العهد القديم، ولا حتى من ضمن كتب الأبوكريفا. ثمة تفسيران محتملان. أولاً، وحيث لا ذكر لهذه الكلمات بالذات في العهد القديم، فقد يكون يعقوب اقتبسها بصفتها ما يعلِّمه الكتاب المقدس بشكل عام. أما الحل الثاني للمشكلة، فتعرضه علينا الترجمة الإنكليزية المعروفة بالصيغة المنقحة (*Revised Version*) إذ إن هذه الترجمة أوردت هذا العدد على شكل سؤالين: "أم تظنون أن الكتاب يتكلم باطلاً؟" "الروح الذي حل فينا هل يشتاق إلى الحسد؟". والفكرة هنا هي أن الكتاب المقدس لا يستخدم الكلمات سُدى في معرض إدانته لروح التنافس الدنيوية.

إن الصعوبة الرئيسية الثانية في هذا العدد تتعلَّق بمعنى جزئه الثاني. فالمشكلة هي هل الروح المقصود هنا هو الروح القدس، أم روح الشهوة الحاسدة. فإن كان الاحتمال الأول هو المقصود، تكون الفكرة أن الروح القدس الذي جعله الله يحل فينا، ليس هو أصل الشهوة والحسد الذين يسببان النزاع، بل إنه يدفعنا بغيرة إلى تقديم الولاء للمسيح على نحو كامل. لكن، في حال صحّ الاحتمال الثاني، فالمعنى عندئذ يكون أن الروح الساكنة فينا أصلاً، أي روح الشهوة والحسد، هي السبب في عدم أمانتنا لله على نحو كامل.

٤: ٦ ولكنه يعطي نعمة أعظم. رأينا في الأعداد الخمسة الأولى حدود الشر الذي قد تبلغ إليه الطبيعة القديمة عند المؤمن. والآن نتعلم أننا غير متروكين للتعامل مع شهوات الجسد بقوتنا الذاتية. فشكرًا لله، لأنه **يعطي نعمة أعظم** أو قوة كلّما برزت الحاجة إليها (عب ٤: ١٦). لقد وعد بالقول «وكأيامك راحتك (أو قوتك بحسب بعض الترجمات)» (تث٣٣: ٢٥).

إنه يعطي نعمة أعظم عندما تصبح الأثقال أضخم.
إنه يمنح قوة أعظم عندما تزداد الأتعاب.
على الضيق المتزايد، يزيد رحمته،
ومع التجارب الكثيرة، يكثر سلامًا.
أني جونسون فلنت Annie Johnson Flint

ويعقوب يقتبس أمثال ٣: ٣٤ حتى يُبرهِن أن الله يمنح نعمة بحسب الحاجة. لكن هذه الآية تضيف أن الوعد **بالنعمة** هو من نصيب المتواضعين، لا المستكبرين. **فالله يقاوم المستكبرين**، لكن لا يمكن أن يقاوم الروح المنسحقة.

٤: ٧ في الأعداد ٧-١٠، نكتشف ست خطوات ينبغي لنا اتّباعها حيث توجد توبة حقيقية. كان يعقوب يحتج على خطايا القديسين. وكلماته اخترقت داخل قلوبنا كسهام من التبكيت؛ لقد سقطت علينا كالصواعق من عرش الله. وهكذا، نحن نتحقق أن الله كان يتكلّم إلينا. لقد انحنت قلوبنا تحت تأثير كلمته تعالى. لكن السؤال المطروح الآن هو: "ماذا نفعل؟".

أولاً، ينبغي لنا أن **نخضع لله**. وهذا يعني أنه يجب أن نكون تحت إمرته، ومستعدين للإصغاء إليه ولإطاعته. ينبغي لنا أن نكون طيّعين ومنسحقين، لا متكبرين وعنيدين. ثم نحتاج إلى أن **نقاوم إبليس**. وهذا يتم عندما نُغلق آذاننا وقلوبنا عن إيحاءاته وتجاربه، عندما نستعين بالكتاب المقدس كسيف الروح لصدّ الشرير. إن كنا نقاومه، **فسيهرب منّا**.

٤: ٨ من ثمّ، علينا أن **نقترب إلى الله**. وهذا يحصل من طريق الصلاة. نحتاج إلى أن نأتي أمامه مضطرّين ورافعين صلاة الإيمان التي فيها نخبره بكل ما في قلوبنا. وإذ نقترب إليه بهذا الشكل، نكتشف أنه هو **سيقترب** إلينا. لقد كنا نظن أنه سيكون بعيدًا عنا، وذلك من جرّاء حياتنا الجسدية الميالة إلى العالم، لكن عندما **نقترب** إليه، يسامحنا ويردّ نفوسنا. والخطوة الرابعة هي في قوله: «**نقّوا أيديكم أيها الخطاة، وطهّروا قلوبكم يا ذوي الرأيين**». إن **الأيدي** تتحدّث عن أعمالنا، فيما **القلوب** تمثّل دوافعنا مع رغباتنا. إننا ننقي أيدينا **ونطهّر قلوبنا** من خلال اعترافنا بالخطايا وتركها، سواء كانت علنية أو سرية. ينبغي لنا **كخطاة** أن نُقرّ بأفعالنا الشريرة، وكأشخاص ذوي رأيين، نحتاج إلى أن نُقرّ بدوافعنا المجزّأة.

٤: ٩ على الاعتراف أن يكون مقرونًا بتأسف عميق على الخطية. «**اكتئبوا ونوحوا وأبكوا. ليتحول ضحككم إلى نوح وفرحكم إلى غمّ**». عندما يفتقدنا الله بتبكيت على خطية، فلا مجال للخفّة والطيش. بل ينبغي لنا كسر ذواتنا أمامه، فننوح على خطيّتنا، وضعفنا، وبرودتنا، وعمقنا. نحتاج إلى التذلّل لكي نبكي على ماديتنا وعصريتنا وممارستنا الشكلية. وينبغي لنا أن نُظهر في الداخل كما في الخارج، ثمر التوبة بحسب التقوى.

٤: ١٠ أخيرًا نحتاج إلى أن **نتّضع قدّام الرب**. فإن كنا، بكل إخلاص، ننسحق عند قدميه، **فإنّه سيرفعنا** في حينه.

إذًا، هكذا علينا أن نتصرّف بعدما يكشف لنا الرب دواخلنا. لكن هذا لا يحصل غالبًا. فمثلاً، نكون أحيانًا

في اجتماع مبارك يتكلّم فيه الله إلى قلوبنا عاليًا، فتتحرّك مشاعرنا، في اللحظة نفسها، وتتجاذبنا عدة تصاميم صالحة؛ لكن ما إن ينتهي الاجتماع، حتى ينشغل العابدون بأحاديث جانبية وطريفة. وهكذا يتبدّد كل جو الخدمة، وتتبدّد منه القوة، فنُطفئ روح الله.

٤: ١١، ١٢ الخطية التالية التي يتناولها يعقوب هي الذمّ، أو التكلّم بالسوء على أخ. لقد اقترح أحدهم أن ثمة ثلاثة أسئلة ينبغي لنا الإجابة عنها قبل الاسترسال في انتقاد الآخرين: أي خير سيجنيه أخوك من جرّاء ذلك؟ أي خير تجنيه أنت؟ هل يتمجد الله من خلال ذلك؟

يقول **ناموس** المحبة الملوكي إنه ينبغي لنا أن نحب قريبنا كأنفسنا. إذًا، كل ذم للأخ، أو إدانة لدوافعه، هو بمثابة تكلّم ضد هذا **الناموس**، والحكم عليه بأنه غير نافع. وكل كسر إرادي للوصية هو بمثابة التعامل معها باحتقار وازدراء؛ وكأننا نعتبر أن الناموس غير صالح، ولا يستحق أن نطيعه. "من يرفض الطاعة يقول، في الواقع، إن لا حاجة إلى الناموس". وهذا يجعل من **يذمّ** أخاه في موقع **الديّان**، عوض أن يكون هو المدان، ويا للعجب في ذلك. إنه ينصّب نفسه كمن هو أسمى من الناموس، عوض أن يكون خاضعًا له. إن الرب هو الذي وضع الناموس وهو الذي سيدين على أساسه. فمن إذًا، لديه الجرأة على اغتصاب مكان الله، إذ **يدين** غيره؟

٤: ١٣ الخطية التالية التي يشجبها يعقوب، تتعلّق بعملية التخطيط المغرور والواثق بالنفس، مع الاستقلال عن الله (ع١٣-١٦). إنّه يصوّر رجل أعمال صاحب مخطّط كامل موضوع للمستقبل؛ لاحظ التفاصيل: لقد فكّر في الوقت (**اليوم أو غدًا**)؛ وفي الأشخاص المعنيين (نحن) **نذهب**: وفي المكان (**إلى هذه المدينة أو تلك**)؛ وإلى مدى الفترة (**وهناك نصرف سنة واحدة**)؛ وإلى نوعية النشاط (**نتّجر**)؛ والنتيجة المرجوة (**نربح**). ماذا ينقص هذه الصورة؟ لم يُدخل الله قطّ في تجارته. نحتاج في حياتنا إلى أن نخطّط لأجل المستقبل، لكننا نخطئ عندما نقدم على ذلك على أساس إرادة ذاتية. ففي قولنا "نريد" أو "أريد"، يكمن جوهر الخطية. لاحظ مثلاً ضمير المخاطب في كلام "الزّهرة" (الشيطان) في إشعياء ١٤: ١٣، ١٤: «وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السماوات أرفع كرسي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال. أصعد فوق مرتفعات السحاب. أصير مثل العلي».

٤: ١٤ من الخطإ التخطيط وكأن **الغد** مضمون. «لا تفتخر... غدًا» (أم٣: ٢٨)، لأننا لا نعرف ماذا يخبئه لنا الغد. إن حياتنا هي أشبه بنفخة أو نَفَس من الدخان، وهي ضعيفة ولا يمكننا التنبّؤ بشأنها.

٤: ١٥ يجب استشارة الله في كل مخططاتنا، كما أنه ينبغي لنا تنفيذها ضمن إرادته. نحتاج إلى أن نعيش ونتكلّم في ضوء تحقّقنا من أنه هو الذي يتحكم بمصائرنا. ويجب أن يكون لسان حالنا: «**إن شاء الرب وعشنا نفعل هذا أو ذاك**». وهكذا، في سفر الأعمال، نجد بولس يقول: «ولكن سأرجع إليكم أيضًا إن شاء الله» (١٨: ٢١). كما كتب في ١كورنثوس ٤: ١٩ «ولكن سآتي إليكم سريعًا إن شاء الله».

٤: ١٦ وأما الآن فإنكم تفتخرون في تعظمكم، كما يكتب يعقوب. كان المسيحيون يتباهون بمخططاتهم المستقبلية. وكانوا متعجرفين في تأكّدهم من أن لا شيء قد يعرقل برنامجهم الزمني. لقد تصرفوا

وكأنهم الأسياد على المصير. وهكذا، فإن كان افتخار مثل هذا رديء ما دام يُبقي الله خارجًا.

٤: ١٧ فمن يعرف أن يعمل حسنًا ولا يعمل فذلك خطية له. **إن العمل الحسن**، بحسب هذا السياق، هو إدخال الله في كل جانب من جوانب حياتنا، والعيش لحظة فلحظة بالاتكال عليه. فإذا عرفنا أنه ينبغي لنا أن نعمل حسنًا، لكننا نهمل هذا الأمر، فإننا بذلك نخطئ بشكل واضح. أن هذا المبدأ يتحمّل بالطبع تطبيقًا على نطاق واسع. ففي كل مرة تكون فيها الفرصة متاحة لفعل ما هو حسن، نكون نحن أمام مسؤولية القيام بذلك. فإن كنا نعرف ما هو حق، يلزمنا عندئذ العيش على مستوى هذا النور. وكل إخفاق من قِبَلنا في عمل هذا، يشكّل خطية تجاه الله، وتجاه أقربائنا وتجاه أنفسنا.

في الأصحاح الرابع، وضعنا يعقوب على المحك بشأن الطمع والخصام، وأيضًا بشأن الذم والتخطيط من دون استشارة الرب. ليطرح إذًا كل واحد منا على نفسه الأسئلة التالية: هل أنا قلق باستمرار من أجل الحصول على المزيد، أم أنا مكتفٍ بما عندي؟ هل أنا غيور من الذين يملكون أكثر مني؟ هل أصلّي قبل الإقدام على الشراء؟ وعندما يكلّمني الله، هل أخضع، أم أقاوم؟ هل أذمّ إخوتي؟ هل أرسم مخططات من دون استشارة الرب؟

٩- الأغنياء وشقاوتهم القادمة (٥: ١-٦)

في واحد من أكثر المقاطع عُمقًا ونفاذًا، يشنّ الآن يعقوب هجومًا عنيفًا على خطايا الأغنياء. فتنزل العبارات كضربات المطرقة على نحو حاد، وقاس. وفي الواقع، إن هذا التوبيخ هو عنيف جدًا، حتى إنه نادرًا ما يتم الوعظ من هذه الأعداد.

يظهر يعقوب هنا وكأنّه يقوم بدور نبي العدالة الاجتماعية. إنه يحتج على تهاون الأغنياء في استخدام أموالهم للتخفيف من وطأة الاحتياجات البشرية؛ ويحكم على الذين أصبحوا أغنياء من خلال استغلالهم لعمّالهم؛ ويوبّخ على استخدامهم الغنى للانغماس في الملذات والعيش بالترفّه والتنعّم. أخيرًا، يصور الأغنياء كظالمين متعجرفين على الأبرار.

٥: ١ أولاً، يدعو **الأغنياء** إلى أن **يبكوا ويولولوا** بسبب الشقاوة التي ستكون من نصيبهم، إذ سرعان ما يتقابلون مع الله؛ عندئذ سيمتلئون خزيًا وأسفًا. وسيتبين لهم أنهم لم يكونوا أمناء على وكالتهم. سيولولون على ما فاتهم من فرص، وسيبكون على طمعهم وعلى أنانيتهم؛ كما أنهم سيتبكتون على ممارستهم غير العادلة في مجال العمل؛ وسيكتشفون خطية السعي في أثر الأمان في الأشياء المادية، عوضًا عن الرب؛ وسيذرفون دموعًا سخينة على العيش كما يحلو لنزواتهم. ويعقوب يذكر أربع خطايا رئيسية لدى الأغنياء: الخطية الأولى تتعلّق بتكديس الغنى.

٥: ٢ كتب يعقوب يقول: «**غناكم قد تهرّأ وثيابكم قد أكلها العثّ**».

لا يذكر الكتاب المقدس البتة أنه خطيّةٌ أن يكون المرء غنيًّا. فأحدهم، مثلاً، قد يرث مالاً طائلاً بين ليلة وضحاها، وبالطبع، لم يقترف أيّة خطية عندما يُصبح غنيًّا بهذا الشكل. لكن الكتاب المقدس يعلّم بالمقابل أنه من الخطإ تكديس الغنى. لقد منع الرب يسوع بصراحة أمر تكديس الغنى عندما قال: «لا تكنزوا لكم كنوزًا

على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا» (مت٦: ١٩-٢١).

يتحدث يعقوب عن اليُسر في أربعة أشكال: **الغنى، الثياب، الذهب، والفضة**. ففي أزمنة الكتاب المقدس، كان الغنى على العموم، متجسّدًا بالحبوب والزيت ومنتوجات أخرى كالثياب، والذهب، والفضة. وربما يقصد يعقوب في قوله: «**غناكم قد تهرّأ**»، إن الحبوب قد دوّدت، وفسد الزيت. والفكرة هنا هي أن هذه الأشياء قد تمّ تكديسها إلى حد أصبحت معه فاسدة. لقد كان ممكنًا استخدامها، في وقت من الأوقات، لإطعام الجياع، لكن الآن لم تَعُد تنفع لشيء. ويقول أيضًا: «**ثيابكم قد أكلها العثّ**». هذا لا يحصل لثياب تُستخدم بشكل دائم. لكن، متى كانت الخزانة مصفوفة بالألبسة، حتى لا يعود بالإمكان استخدامها إلا نادرًا، تُصبح عُرضة لأن يأكلها العثّ. إنه خطأ أدبي، في نظر يعقوب، أن تُكدّس الثياب بهذا الشكل فيما العديد من الناس بأمسّ حاجة إليها.

٥: ٣ ثم يضيف يعقوب: **ذهبكم وفضتكم قد صدئا وصدأهما يكون شهادة عليكم ويأكل لحومكم كنار**. لا يصدأ الذهب والفضة، لكنهما قد يفقدان بريقهما، ويتآكلان مبدئيًا عند حفظهما في ظروف غير ملائمة. كان الأغنياء يدّخرون أموالهم "لليوم الأسود"، عوضًا عن تشغيلها، وإطعام الجياع، وكسو المساكين، وتأمين الأدوية للمرضى، ونشر الإنجيل. فما استفاد أحد منها، وبالتالي تهرّأت.

الصدأ، وهو يشير إلى عدم الاستعمال وإلى الفساد، يكون شهادة دينونة على الغني. وإن كان يصحّ على الأغنياء في أيام يعقوب، فكم بالحري يصحّ أيضًا على المؤمنين في جيلنا الحاضر؟ أيّة إدانة تنتظرنا في حال توافرت لدينا الإمكانيات لنشر الإنجيل، لكن تقاعسنا عن ذلك؟ وأية إدانة تلحقنا عندما نقوم بتكديس الأشياء المادية، ولا نستخدمها لخلاص النفوس. إن العبارة «**صدأهما... يأكل لحومكم كنار**» تعني أن إهمالهم استخدام غناهم لخير الآخرين سيسبّب لهم ألمًا نفسيًا حادًا. وأخيرًا، عندما ستنفتح عيونهم على رؤية مدى وحشية أنانيتهم وطمعهم (المجوهرات الكثيرة الثمن، الثياب الأنيقة، البيوت الفخمة، السيارات الباهظة الثمن)، فسيكون الاختبار محرقًا ولاذعًا.

٥: ٤ إن الخطية الثانية التي يهاجمها يعقوب تتعلّق بتحصيل الغنى من طريق التقاعس عن دفع أجور مناسبة. **فالفعلة الذين حصدوا الحقول**، حُرموا أجورهم المحقّة. ومع أنهم قد يحتجّون على هذا، فهم كانوا عاجزين عن الحصول على أي تعويض، لأن ليس لديهم أحد على الأرض للمرافعة عنهم بنجاح. بيدَ أن **صياحهم** قد دخل إلى أذني **رب الجنود**. فالرب الذي يأمر الأجناد السماوية، يتشدّد مع الحشود المُضطَهَدة والمدوسة بالأقدام. والرب الإله القادر على كل شيء سيساعدهم وينتقم لهم. من هنا، يدين الكتاب المقدس لا تجميع الغنى فحسب، بل أيضًا تحصيله بوسائل غير مشروعة. وبالإضافة إلى دفع أجور غير عادلة، كان باستطاعة يعقوب أن يذكر أيضًا تزوير ضرائب الدخل، والغش في المعايير والموازين، ودفع الرشوة للمفتشين المحليين ولسائر الموظفين الرسميين، والدعايات الكاذبة، وتزوير حسابات المدفوعات.

٥: ٥ بعد هذا، يشجب يعقوب حياة البذخ عند الأغنياء الذين يقتنون المجوهرات الغالية الثمن، والثياب الأنيقة، والأطعمة الخاصة، والبيوت التي هي أشبه بالقصور. كيف كان بإمكانهم تبذير غناهم على الذات، فيما عدد كبير من الناس هم في أمس حاجة إلى القوت اليومي؟ ولتطبيق كل هذا في أيّامنا الحاضرة، كيف نستطيع أن نبرِّر التبذير والعيش المسرف لدى الكنيسة، ولدى الشعب المسيحي؟ نحن نعيش في عالم فيه الألوف يموتون من الجوع يوميًّا. وما يزيد نصف سكان العالم لم يسمعوا عن الرب يسوع المسيح. ففي عالم كهذا، كيف نبرِّر اقتناءنا سيارات فخمة من الطراز الحديث، وزوارق بخارية سريعة؟ وكيف باستطاعتنا إنفاق مال الرب على فنادق باهظة الثمن، وعلى مطاعم من درجة عالية، وعلى أي شكل من أشكال الانغماس الذاتي في الملذات؟ إن تعليم الكتاب المقدس الصريح، ومثال المخلِّص، وضائقة العالم المروعة، والشعور البديهي بالشفقة، هذه جميعها تخبرنا أنه من الخطإ العيش ببذخ وبتنعم وبرفاهية ما دام هناك نفس واحدة لم تسمع الإنجيل بعد.

إن الذين يعيشون في **الترفّه والتنعّم** من دون أي رادع أو وازع، يُشبهون بالذين **يُربّون قلوبهم كما في يوم الذبح**. فحالهم هي كحال الحيوانات التي تُسمَّن قبل قتلها، أو كحال الجنود الذين ينكبّون على النهب والسطو، فيما الآخرون حولهم يهلكون.

٥: ٦ التهمة الأخيرة الموجّهة ضد الأغنياء هي كونهم قد **حكموا على البار وقتلوه، وهو لم يقاومهم**. يظن بعضهم أن البار المقصود هنا هو الرب يسوع. إلا أن موته تمَّ على أيدي أناس متديّنين، لا على أيدي أغنياء. وقد يكون من الأفضل اعتبار البار، كممثِّل عن الناس الأبرياء عمومًا. فيعقوب يفكِّر هنا في الأسلوب الفظ والعنيف الذي كان يميز به الأغنياء في تعاملهم مع من كانوا خاضعين لهم. لقد حكموا عليهم من خلال التهم الملفَّقة، والكلام اللاذع، والتهديد، والوعيد؛ وأيضًا قتلوهم، لا بالمعنى الحرفي حُكمًا، بل من طريق إرهاقهم في العمل، أو بمنحهم أجورًا هي أقل بكثير مما يستحقون. وإلى ذلك، لم يظهر الأبرياء أية مقاومة. فكل احتجاج من قِبَلهم قد يؤدّي إلى المزيد من الوحشية في التعامل معهم، أو حتى إلى صرفهم من العمل.

١٠. الحثّ على التحلّي بالصبر (٥: ٧-١٢)

٥: ٧ يتحوَّل يعقوب في هذه الآية إلى مؤمنين كانوا يعانون الظلم، ويشجِّعهم على **التحلّي بالصبر**. إن الدافع إلى الأناة هو **مجيء الرب**. وهذا قد يشير إمَّا إلى الاختطاف، وإمَّا إلى رجوع المسيح لكي يملك. وكلاهما مستخدم في العهد الجديد كحافز على التحلّي بالصبر والاحتمال.

فالفلاح، يوضح الحاجة إلى الأناة؛ فهو لا يحصد في اليوم نفسه الذي يزرع فيه. لكن هناك بالحري فترة طويلة من الانتظار، إذ عليه، أولاً، أن ينتظر **المطر المبكّر** الذي يسبّب إنبات الحبوب. ثم **المطر المتأخر** الضروري لجعل الغلة تثمر بنجاح. ويرى بعضهم في إشارة **المطر المبكر والمتأخر** وعدًا بأن بركات يوم الخمسين في بداية عصر الكنيسة، سوف تتكرَّر قبل رجوع الرب، لكن المضمون العام للعهد الجديد، يبدو أنه لا يدعِّم مثل هذا التوقّع. وهذا لا يمنع بحثنا عن بقية أمينة من المؤمنين مملوئين غيرة من أجل الله، ومنشغلين بتبشير العالم. هل من أسلوب أفضل للترحيب بالمخلِّص العائد؟

٥: ٨ إن الإساءات المعمولة على الأرض سوف تسوّى لدى رجوع الرب. من هنا ينبغي لشعبه أن **يتأنّوا** نظير الفلاح؛ **وقلوبهم** يجب أن تُثبّت بيقين مجيئه.

٥: ٩ من المألوف، في أزمنة الاضطهاد والضيق، أن تنقلب الضحايا، كل واحد على صاحبه. وإنه لانحراف غريب في الطبيعة البشرية أن يتولّد فينا سخط متزايد على الذين نحبهم كثيرًا. من هنا، جاء التحذير: «**لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا**». فهذا العدد يتكلّم إلى خدّام الرب العاملين معًا في ظروف صعبة. يجب ألاّ نسمح بنشوء أيّة مرارة. وعلى كل حال، **فالديان واقف قدام الباب**، إنه تعالى يعرف الأفكار التي تدور في خلدنا؛ وقريبًا سنقف أمام كرسي المسيح لتأدية الحساب. إذًا، ينبغي ألاّ ندين لئلا نُدان.

٥: ١٠ يذكر يعقوب أنبياء العهد القديم **كمثال لاحتمال المشقات والأناة**. لاحظ أنّ **المشقّات** تسبق **الأناة**. «الضيق ينشئ صبرًا» (رو٥: ٣). وكما شرحنا من قبل، فالصبر في العهد الجديد يعني الثبات أو المثابرة. كان الأنبياء قد اضطُهدوا من دون شفقة، وذلك من جرّاء أمانتهم في إعلان كلمة الرب. لكنهم تشدّدوا كمن يروا من لا يُرى (عب١١: ٢٧، ٣٢-٤٠).

٥: ١١ ننظر إلى الوراء، بكل احترام، إلى الأنبياء كإشعياء وإرميا ودانيآل. إننا نقدّرهم من أجل غيرتهم وتكريسهم. وبهذا المعنى، **نطوّبهم**، ونُقرّ بأنّهم كانوا على حق فيما العالم كان على خطإ. حسنًا، نحتاج إلى أن نتذكّر أنهم اجتازوا بتجارب وآلام كثيرة، وأنّهم احتملوا بصبر، فإن كنّا بدورنا نرغب في الحصول على الطوبى، فمن المنطقي القول إننا سنُدعى إلى حذو حذوهم.

أيوب، يشكّل مثالاً رائعًا على **الصبر** أو الثبات. نادرًا ما نجد أناسًا كابدوا كل هذا القدر من الخسارة في هذه الفترة القصيرة من الوقت، كما هي حال أيوب؛ لكنه لم يسبّ الله قط، ولا حاد عنه. وفي نهاية المطاف كوفئت مثابرته. لقد، أعلن الله ذاته، كما يعلن دائمًا، أنه **كثير الرحمة ورؤوف**.

ولو لم نكن على علم بما يدعوه يعقوب **عاقبة الرب** (النهاية أو النتيجة التي يحدثها الرب)، فقد نتجرّب بأن نغار من الأشرار، لقد غار آساف لدى رؤيته ازدهار الأشرار (مز٧٣: ٣-١٧). وكلّما كان يفكّر في هذا الأمر كان يزداد اضطرابه. من ثم دخل إلى مقدس الله، وأدرك مصيرهم؛ وهذا بدّد كل حسد عنده. كذلك اختبر داود الأمر عينه. فهو يصف في المزمور ١٧: ١٥ نصيب المؤمن في الحياة الآتية. وعليه فإن الثبات يرجع على المؤمن بالفائدة. أمّا بالنسبة إلى أيوب، فقد كانت **عاقبة الرب** أن الله منحه ضعفي ما كان لديه من قبل (أي٤٢: ١٠-١٥).

٥: ١٢ إنّ عدم التحلّي بالصبر في أزمنة التجربة، يظهر أيضًا من خلال الحلفان. فالمسألة هنا لا تتعلّق، بشكل رئيسي، بالتجديف أو بالتفوه بلعنات؛ كما أنها لا تمتّ بأية صلة إلى أمر النطق بأقسام أمام محكمة، بل إن الممارسة المحظورة تتناول الاستعانة، من دون تفكير، باسم الرب، أو بأي اسم آخر لتثبيت صحة حديثنا. لا يحتاج المسيحي المؤمن إلى أن **يحلف** بأي شخص، أو بأي شيء، لا في **السماء** ولا على الأرض. وعلى الذين يعرفونه أن يتّكلوا على حقيقة أن "نعمه" تعني "نعم" و "لاءه" تعني "لا". وهذا النص قد يصحّ أيضًا للحدّ من استخدام عبارات لا حاجة إليها، من نحو "صدقوني"، "إني أقول الحقيقة"، "أمام الرب" الخ.

لئلا تقعوا تحت دينونة (أو في المراءاة بحسب بعض الترجمات)، كما يضيف يعقوب. ولعله يقصد هنا مضمون الوصية الثالثة: «لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً. لأنّ الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً» (خروج ٢٠: ٧).

١١ـ الصلاة وشفاء المرضى (٥: ١٣-٢٠)

إن موضوع الأعداد الختامية في الرسالة هو الصلاة. وهذه الكلمة ورد ذكرها سبع مرات، بين الاسم والفعل.

٥: ١٣ ينبغي لنا، في كل أحوال الحياة أن نلتجئ إلى الرب بالصلاة. فعندما نكون في ضيق، نحتاج إلى أن نقترب إليه بتوسلات نرفعها من القلب؛ أمّا في زمن الابتهاج، فعلينا أن نرفع قلوبنا إليه بالتسبيح. إنه ـ تبارك اسمه ـ يرغب في أن ندخله في كل التقلّبات التي تطرأ على حياتنا.

كما ينبغي لنا رؤية أن الله هو العلة العظمى والأولى في كل ما يحدث لنا في الحياة. ويجب ألاّ نبحث عمّا أسماه رذرفورد *Rutherford* "الدوران العشوائي لعجلات العلل الثانوية". لأنه ستكون الهزيمة نصيبنا عندما نسمح لنفوسنا بأن نصير ضحايا الظروف، أو ننتظر حتى تتغير ظروفنا. فينبغي لنا ألا نرى أية يد سوى يده تعالى وحدها.

أمامنا الآن واحد من أكثر النصوص التي هي موضوع الجدل في هذه الرسالة، وربما في كل العهد الجديد. إنه يجعلنا نتواجه مع مسألة الشفاء في حياة المؤمن المعاصر.

فقبل أن نأتي على دراسة هذه الأعداد بشيء من التفصيل، نستفيد كثيراً إذ نستعرض، بسرعة، ما يعلّمه الكتاب المقدس بشأن المرض والشفاء.

الشفاء الإلهي

١- يُجمعا لمسيحيو نعلى أ نكلمر ضهو ، بشكلعام ،نا تجمنا لخطية فيا لعا لم . إذ لو لا دخو لا لخطية،لماكانهناكأيمرض.

٢-أحيانًا ،يشكّلا لمر ضنتيجةمباشر ةللخطية فيحيا ة ا لإ نسا ن . نقر أ في ١ كو ر نثو س ١ ١: ٠ ٣ أنبعضا لكو ر نثيينكا نو ا مر ضى بسببا شتر ا كهمفيعشا ء ا لر بد و نأ ن يحكمو ا على ا لخطية فيحيا تهم ، أ يمنـد و ن أنيعترفوابهاويتركوها.

٣ - ليسكلمر ضهو نتيجة مبا شر ة للخطية فيحيا ة ا لشخص . لقد كا نأ يو بمر يضًا على الر غممنكو نهر جلاًبارًا (أي ١: ٨). و لميكن الر جلا لمو لو د أ عمى يتأ لّممنجرًا ء خطا يـا اقتر افها هو بنفسه (يو ٩: ٢، ٣). و أبفرو دتس أ لمّبهمر ضبسببخد متهللر با لتيلا تعر ف الكلل (في ٢: ٠ ٣) . كما كا نغا يسصحيحًا و متعا فيًا منا لنا حية الر و حية ، لكنيبد و أ نهلم يكنفيصحةجيدةجسديًا(٣يو٢).

٤- أ حيا نًا ، ينتجا لمر ضمنتأ ثير شيطا ني . فا لشيطا نهو ا لذ يتسبّببأ نيُغطّى جسد أ يو ب بالقروح (أي ٢: ٧). كما أنالشيطانهو الذي أ ضعفا لمر أ ةفيلو قا ٣ ١: ٠ ١ - ١٧، حتى با تتمحنية على نحو مضا عف ، و عا جز ة عن الانتصاب .فهذ ها لمر أ ة، "قدر بطها الشيطان ثما نيعشر ةسنة" (لو ٣ ١: ٦ ١) يا للعجب ! و بو لسكا نيعا نيضعفًا جسد يًا سبّبهله الشيطا ن ؛ و قد أ سما ه "شو كة فيا لجسد . . . ملاكالشيطانليلطمني" (٢كو١٢:٧).

٥- ا للهيقد ر أ نيشفي ، و هو ير يد أ نيشفي ؛ إذً اكلشفا ء هو إ لهي . إنأ حدأ سما ء ا للهفي

العهدالقديمهو "يهوهرافا (رُفيكا)" أي "الـرب شـافيك" (خر ١٥: ٢٦). لذا، علينا أننعترف باللهفيكلحالةشفاء.

يتّضحلنا، منالكتابالمقدس، أنالهيستخدم أساليبمختلفةللشفاء، فأحيانًا، يشـفيعنطريق عواملجسديةطبيعية، إذقدزوّدالجسمالبشـري بقدراتهائلةلاستعادةالقوةوالنشـاط. ويعلم الأطباء يقينًا أنمعظمالشكاوى تتحسّـنمع صباحاليومالتالي. أحيانًا، يبرئاللهبواسـطة الأدوية: مثلاً، بولسنصحتيموثاوسبأنيسـتعمل خمرًا قليلاً منأجلمعدتهوأسـقامهالكثيرة (١تي ٥: ٢٣). وأحيانًايشـفيمنطريق "الإنقاذ" منمخاوفنفسية، ومنمشـاعرالمرارة، ومن الانشغالبالذات، ومنالشـعوربالذنب، وهذهكلها تسببمرضًا". وأحيانًا أخرى يشفيبواسـطة الأطباءوالجراحين، لقدعلّميسـوعبصريح العبارةأنالمرضى يحتاجونإلى طبيـب (مت ٩: ١٢)، وبولسـتحدّثمعلوقا "كالطبيب الحبيب" (كو ٤: ١٤)، الأمرالذييظهرالحاجـة إلى أطباءبينالمسيحيين. فاللهإذًا، يسـتعين بأطباءلخدمةالشـفاء؛ وكماقالدوبوا *Dubois* الجراحالفرنسيالمشـهور: "الجرّاحيضمّد الجرح؛أمّااللهفيشفيه".

٦- اللهيشفى أيضًا بشـكلمعجزي. إنالأناجيل تحتوي على العديدمنالإيضاحاتمنهذا القبيل. ولايصلحالقولإناللهيشـفىعلىالعموم بهذاالشـكلأوبهذهالطريقة، لكنلايحقلنا القولإنهلايفعلهذاأبدًا، إذلاشـيءفيالكتاب المقدسيمنعنامنالإيمانبأنالهيسـتطيعأن يشفي،بشكلمعجزي،مرضىاليوم.

٧- لكنيجبأنيبقى واضحًا أنإرادةالله لاتقضيدائمًابالشفاء. فبولسـتركترُوفيمس مريضًافيميليتس (٢تي ٤: ٢٠)؛ كماأنالـرب لميشفبولسمنشوكتهفيالجسـد (٢كو ١٢: ٧-١٠). فلوأنإرادةاللهتقضيدائمًابالشـفاء، لماشاخبعضالقوم،ولاماتوا!

٨- اللهلميعِدنابأنهسيشـفى فيكلحالة، إذًا لا يمكننا أنننطالبهبالشفاء. وبحسـبفيلبى ٢: ٢٧، جاءالكلامعنالشـفاءبصفتهرحمة، لاكأمرمنحقّناتوقّعه.

٩- ومعأنهيصحّ، بشكلعام، القولإنّالشـفاء هو متضمَّنفي "الفداء"، يبقى أنّنا لمنحصـل بعد على بركاتالفداءكلها. مثلاً، إنعمـل المسيحلأجلنايشتملأيضًاعلىفداءالأجسـاد، لكننالننختبرذلكإلابعدعودةالمسـيحلأجل قديسـيه (رو ٨: ٢٣). وفيذلكالوقتأيضًا، سنبرأتمامًا،وبشكلنهائي،منكلأمراضنا.

١٠- لايصحّالقولإنعدمالشفاء يشـير إلى عدمإيمان. ولوكانكذلك، لعاشـبعضهمإلى مالانهاية، لكنهذالايحصللأحد. إنـكلاً منبولسوتروفيمسوغايسلمينالشـفاءمع أنإيمانهكاننفعًالاًونشيطًا.

٥: ١٤، ١٥ **وبالرجوع إلى يعقوب٥، نرى أنه ينسـجم مع مـا تعلّمه نصوص أخرى من الكتاب المقدس بشـأن الشـفاء: «أمريض أحد بينكم فليدعُ شيوخ الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت اسم الرب. وصلاة الإيمان تشفي المريض والرب يقيمه. وإن كان قد فعل خطية تُغفر له».**

لو كانت هـذه الأعداد هـي الوحيدة الـتي تعلّم عن الشفاء في الكتاب المقدس، لافترضنا أنه باستطاعة المسيحي أن ينال الشفاء من أي مرض اعتراه، وذلك إذا تمّ الشروط المذكـورة. لكن، سـبق لنـا أن رأينا، من نصـوص كتابية

أخـرى، أن إرادة الله لا تقتضـي دائمًا بالشـفاء. وعليه، فنحن مرغمون على الاسـتنتاج أن يعقوب يتحدَّث هنا عن صنـف معين من المرض، لا عن أي شـكل منه. وبالتحديد عـن المرض الناتج من ظروف معينـة. إن المفتاح لفهم هذا النص، مُتضمَّن في العبارة «**وإن كان قد فعل خطية تُغفر له**». فالشفاء في هذا المقطع هو مرتبط بغفران **الخطايا**.

في هذه المسألة إنسـان اقترف خطية ما، لها علاقة، على الأرجح، بشـهادة الكنيسـة المحلية. ثـم بعد هذا بقليل يمرض، ويتحقَّق أن هذا المرض جاء نتيجة مباشرة لخطيته. فالله يؤدِّبه من أجل إعادته إلى الشركة. وعليه، فإنـه يتوب عن خطيته، ويعترف بهـا لله. لكن، وبما أن هذه الخطية أثَّرت أيضًا في شـهادة الجماعـة، فإنَّنا نراه يدعو الشـيوخ، ويُدلي أمامهم أيضًـا باعتراف كامل. **وهكذا يُصلُّون عليه، ويدهنونه بزيت باسم الرب**. إن **صلاة الإيمان** هذه، تشـفي المريض، والـرب يُقيمه. إنه وعد مباشـر من الرب أنه حيثما نتج المرض بشـكل مباشـر من الخطية، وحيثمـا تمَّ الاعتراف بهذه الخطية وتركها، بالطريقة المذكورة، فسيُجري الرب الشفاء.

قد يسأل أحدهم: "ما هو السبيل إلى معرفة أن الإنسان قـد اقترف خطايا، وأنه عاد واعـترف بالأمر وتاب عنه؟". الجواب يكمن في القسـم الختامي من العـدد ١٥، والذي يتحـدث عن **غفران خطاياه**. ونحن نعلم أن مغفرة الخطايا لا تحصل إلاَّ من طريق الاعتراف بها (١يو١: ٩).

وقد يعترض آخر على هذا القول: "لا يذكر النص أنـه قد اقترف **فعلاً** خطية، بل بالحـري: إن **كان قد فعل خطية**". هذا صحيح، لكن فحوى الكلام هنا، هو عن موضوع غفران الخطايا، وإعادة الإنسـان المخطئ إلى سـابق عهده. لاحظ ما يلي: «اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلّوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشـفوا». إن الجفاف المذكور في العددين ١٧، ١٨، كان دينونة الله على إسـرائيل بسـبب الخطية، والرب وضع حدًّا له بعـد رجوعهـم إليهم، معترفـين بأنـه الله الحقيقي (١مل١٨: ٣٩). والعددان ١٩، ٢٠، كما سـنرى، يعنيان بكل وضوح بمسألة إعادة إنسان مرتدّ.

إذًا، فسـياق الكلام في يعقوب ٥: ١٣-٢٠ يشير ضمنًا إلى أن الشـفاء الموعود به من الله، يتعلَّق بإنسان كان مرضه ناتجًا من خطية، وقد اعترف بخطيته **للشيوخ**. وهكـذا تقتضـي مسـؤولية **الشـيوخ** أن **يُصلّوا عليه، ويدهنـوه بزيت**. بعضهم يفسـر **الزيت** هنا، كإشـارة إلى الاسـتعانة بوسائل طبيّة لأن الزيت كان صنفًا من الدواء في أيام يعقـوب (لو١٠: ٣٤). أمَّا رأي آخر، فيعتبر أن المقصود هنا هو الاسـتخدام الطقسي للزيت. وتأتي العبارة **باسـم الرب**، لتعزز هذا المفهوم. وبكلمة أخـرى، كان ينبغـي لعمليـة الدهن هـذه أن تحصل بموجب سـلطانه تعالى، وإطاعة لكلمته. أحيانًا، كان الرسل يسـتعملون الزيت لدى قيامهم بعمليات شفاء معجزية (مر٦: ١٣). لكن القدرة على الإبراء لم تكن في الزيت، بل إن الزيت كان يرمز إلى الروح القدس في خدمته الشفائية (١كو١٢: ٩).

وقد يحتج بعضهم على كون الاسـتخدام الطقسي للزيـت لا يتلاءم مـع عصـر النعمة الـذي يقلل من قيمة الاحتفالات والشـعائر. إلا أننا نسـتخدم الخبز والخمر كرمزين لجسد المسـيح ولدمه؛ كما نستعمل المـاء في المعموديـة؛ وتسـتخدم النسـاء أغطية على رؤوسـهن، كرمز لخضوعهن للرجل. لمـاذا إذًا نحتج على الاستخدام الطقسي للزيت؟

واستنادًا إلى **صلاة الإيمان، فإن الله يشفي المريض.** فهي صلاة إيمان لأنها ترتكز على وعد كلمة الله. ولا يتعلّق الأمر البتة بمقدار إيمان الشيوخ، ولا بمقدار إيمان الشخص المريض. فالشيوخ باستطاعتهم أن يصلّوا بثقة كاملة، لأن الله وعد بأن يقيم الإنسان عندما تستوفى شروط التوبة.

ولإيجاز ما سبق، فإننا نعتقد أن العددين ١٤، ١٥ ينطبقان على الحالة التي يكون فيه الإنسان مريضًا كنتيجة مباشرة لخطية معينة. ثم بعد أن يعي ذلك ويتوب، يحتاج إلى أن يدعو شيوخ الكنيسة لكي يعترف أمامهم بكل ما فعل. ثم عليهم بدورهم أن يصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وهكذا يصلّون بإيمان لأجل شفائه، لأن الله يَعِد في هذه الآية بإبراء هذا الإنسان.

٥: ١٦أ اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات، وصلوا بعضكم لأجل بعض لكي تُشفوا. إن قراءة سطحية لهذا النص قد تولّد فينا انطباعًا بأنه يتحتم علينا أن ننقل إلى الآخرين كل ما يتعلق بقضايانا السريّة. لكن، ليست الفكرة كذلك، فما يقصده يعقوب، بشكل رئيسي هنا، هو أنه عندما نخطئ إلى شخص آخر، ينبغي لنا أن نسرع إلى الاعتراف بهذه الخطية إلى الشخص الذي أسأنا إليه.

كذلك، نحتاج إلى أن **نصلّي بعضنا لأجل بعض.** وهكذا، عوض أن نحقد أو نسمح لمشاعر المرارة فينا بأن تعنف وتزداد، ينبغي لنا أن نبقي على أنفسنا في شركة مع الآخرين من طريق الاعتراف والصلاة.

إن الشفاء الجسدي يرتبط بردّ النفس روحيًا. لاحظ كيف أن يعقوب يربط ما بين الاعتراف، والصلاة، والشفاء. وفي هذا إشارة واضحة إلى العلاقة الوثيقة القائمة بين ما هو مادي وما هو روحي. فالإنسان هو كائن ثلاثي: روح، ونفس، وجسد (١تس٥: ٢٣). وإن ما يؤثر في جانب واحد منه، يؤثر فيه كله. ففي العهد القديم، كان الكاهن هو الطبيب أيضًا. وكان منوطًا به، مثلاً، أن يشخّص مرض البرص، وأن يعلن الشفاء منه. والرب، بجمعه مهام الكاهن والطبيب في شخص واحد، يشير بذلك إلى العلاقة الوثيقة بين الروح والجسد.

إن مجال الطب السيكوسوماتي، أي الفرع الذي يتعلق بالتفاعل بين الظواهر الجسدية والظواهر النفسية، يأخذ هذا الرابط بعين الاعتبار، ويبحث عن مشاكل شخصية قد تكون وراء الاضطرابات الجسدية. لكن الطب الحديث لا يملك العلاج للخطية؛ فالخلاص من ذنب الخطية، ودنسها، وسطوتها، وعقابها، لا يحصل إلا على أساس دم المسيح، ومن خلال الاعتراف أمام الله وأمام الناس. إن الأمراض تنتج من الخطية — تلك الخطايا من صنف الشراهة، والقلق، والغضب، والروح غير المسامحة، وعدم الاعتدال، والحسد، والأنانية، والكبرياء — وذلك أكثر بكثير مما نحن على استعداد لأن نقرّ به. فالخطية في الحياة تجلب المرض، وأحيانًا الموت (١كو١١: ٣٠). لذا ينبغي لنا أن نعترف بالخطية ونتركها حالما نعي دخولها إلى حياتنا.

كل الخطايا، يجب الاعتراف بها لله. إلى ذلك، فالخطايا المرتكَبة بحق الناس الآخرين، ينبغي أن نعترف بها أمامهم أيضًا. وهذا يشكّل أمرًا حيويًّا بالنسبة إلى صحتنا الروحية، وهو مفيد ونافع لصحتنا الجسدية.

٥: ١٦ب-١٨ «طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها. كان إيليا إنسانًا تحت الآلام مثلنا وصلّى صلاة أن لا تمطر فلم تمطر على الأرض ثلاث سنين وستة أشهر. ثم صلّى أيضًا فأعطت السماء مطرًا وأخرجت الأرض ثمرها».

هذه الحادثة مدوّنة في ١ملوك ١٧: ١-١٩: ١٠. كان أخآب ملكًا على إسرائيل في ذلك الوقت. وكانت زوجته إيزابيل قد جعلته من عبدة البعل، فقاد الشعب إلى هذا الشكل الدنيء من الوثنية. «وزاد أخآب في العمل لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله» (١٦: ٣٣). إن الجفاف الذي عمّ أرض إسرائيل على مدى ثلاث سنوات ونصف، جاء نتيجة مباشرة للخطية.

ثم كان لإيليا المواجهة الشهيرة مع كهنة البعل على جبل الكرمل. وعندما نزلت نار الرب والتهمت المحرقة والمذبح والماء، اقتنع الشعب، وهكذا رجعوا إلى الرب. ثم صلّى إيليا أيضًا، وبذلك انتهى الجفاف. إن مثال إيليا، أُعطي لنا لتشجعينا على الصلاة من أجل الذين أخطأوا وانحرفوا عن الشركة مع الرب. **فطلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها**، أو كما أعاد أحدهم صياغتها على الشكل التالي: "إن صلاة إنسان قلبه كامل مع الله، تعمل العجائب". ثم يذكّرنا يعقوب بأن **إيليا كان إنسانًا تحت الآلام مثلنا**، وذلك لئلا نتجرّب بالتفكير في أنه كان ينتمي إلى جُبلة أسمى من جبلتنا. لقد كان مجرّد إنسان، ومعرّضًا للعجز نفسه وللضعفات عينها التي تنتاب سائر بني البشر.

٥: ١٩، ٢٠ كنا قد تحدّثنا في الأعداد السابقة عن الاستعانة بالشيوخ، ضمن الجماعة المحلية، لردّ نفس القديس الذي يقع في الخطية. كما رأينا أن إيليا استُخدم لإعادة إحياء أمّة مرتدّة، وذلك بشكل جزئي وموقّت. والآن يناشدنا الوحي أن نقوم بهذه الخدمة ذات التأثير البعيد المدى.

يصف العدد ١٩ أخًا مسيحيًّا قد ضلّ عن الحق، إمّا من حيث العقيدة، وإمّا من حيث الممارسة. فيصلّي من أجله أخ آخر بكل جديّة وإيمان، وهكذا **يردّه** بمحبة إلى الشركة مع الله ومع إخوته وأخواته في المسيح. ما أعظم معاني هذه الخدمة!

أولاً، وقبل كل شيء، سيُخلّص أخاه الضال من موت سابق لأوانه تحت يد الله المؤدّبة؛ ثانيًا، **يستر كثرة من الخطايا**. لقد غفر الله الخطايا ونسيها؛ كذلك غفرها سائر الإخوة المؤمنين، وتمّت تغطيتها عن عيون العالم الخارجي. إننا نحتاج إلى هذه الخدمة اليوم. ففي غيرتنا على تبشير الهالكين، ربما لا نعطي اهتمامًا كافيًا لخراف المسيح الذين زاغوا عن القطيع.

مرة جديدة، ينخس يعقوب ضمائرنا بالنسبة إلى عدّة جوانب من الحياة المسيحيّة. لقد سألنا مثلاً: هل تكنز لنفسك كنوزًا على الأرض؟ هل أساليبك في العمل مستقيمة كل الاستقامة؟ وماذا في شأن ضريبة الدخل، مثلاً؟ هل تعيش مترفّهًا، أم تُضحي في حياتك حتى يتسنّى للآخرين التعرف بالمخلّص؟ عندما تخطئ إلى شخص آخر، هل أنت مستعد للذهاب إليه والاعتذار منه؟ وعندما تمرض، بمن تتصل أولاً – بالطبيب، أم بالرب؟ وعندما ترى أخًا يسقط في الخطية، هل تنتقده، أم تحاول ردّ نفسه؟

وهكذا نأتي إلى نهاية هذه الرسالة العمليّة والموجزة. ففيها رأينا أن الإيمان على المحك؛ رأينا الإيمان تمتحنه تجارب الحياة، والتجارب غير المقدّسة، والطاعة لكلمة الله. إن الإنسان المدّعي الإيمان، قد تحدّاه يعقوب ليُظهر هذا الإيمان بتجنّبه المحاباة أو التكبّر على الآخرين، وبرهان ذلك بواسطة حياة من الأعمال الصالحة. إن حقيقة الإيمان، تُرى في حديث المرء؛ فالمؤمن يتعلّم فنّ إخضاع لسانه لربوبيّة المسيح. والإيمان الحق؛ كما أن حياة التقوى العملية تُستبدل بحياة الحسد والخصام.

الإيمان يتجنّب الانقسامات، والصراعات، وضروب الحسد الناتجة من الطمع ومن الطموح العالمي إنه يتحاشى الثقة بالنفس التي تترك الله خارج نطاق مخطّط الحياة. والإيمان يصمد وينجح في الامتحان أمام الأسلوب المعتمد لكسب المال ولإنفاقه. كما أنه، على الرغم من الضيق، يُظهر صبرًا واحتمالاً، لأنه ينتظر رجوع الرب؛ وحديثه مستقيم باستمرار، فلا يحتاج إلى قَسَم لتثبيت صحته. والإيمان يلتجئ إلى الله في مختلف التقلّبات التي تحصل في الحياة. ففي المرض، ينظر الإيمان أولاً إلى الأسباب الروحية؛ ثم ينزع هذه المسببات المحتملة، من طريق الاعتراف لله، وإلى الأشخاص المساء إليهم. أخيرًا، يذهب الإيمان، بمحبة وشفقة، في أثر الذين تهاونوا وسقطوا.

إيمانك وإيماني، يوضَعان يوميًّا على المحكّ. فما هو الحكم الصادر عن الديّان؟